جواهر الإيمان

للشيخ حسني حسن خير الدين الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، هدانا لحقائق التوحيد، ودفع عنا منزلقات الشرك والتشكيك، وأكرمنا باتباع رسوله، واقتفاء أثر صحابته الأكرمين، ومنّ علينا بفضله بأحوال الحبّ والأنس والقرب دون تبعيد، حتى نلنا منزلة المتذللين لعليائه والعبيد، وتجلى علينا في وحدانيته وصفاته وأفعاله، التي لم يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحقّ بالحقّ، والهادي إلى صراط مستقيم، صلى الله عليه وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم.

وبعد...

فإنَّ الحرص على رسوخ العقيدة الإسلامية، في قلوب الناشئة، لهو من أجلّ الأعمال التي حرص المربون والعلماء، على الاهتمام بها لما فيها من سعادة الدارين.

وإنّ من أعظم الفوائد التي تعود على المؤمن في علم العقائد، أن يتفق في معتقده مع فطرته التي فطره الله عليها، كيف لا، والعودة إلى الفطرة هي مفتاح الحلول للمعضلات، الناشئة عن الشرود والضياع والغربة التي تعيشها الأجيال في هذا الزمان. فما أن يقع نورُ التوحيد على غواشي القلوب حتى يغسلها بغسول الطهر والسكينة والاطمئنان، فيعود

الرشد إلى عقول وأفئدة الناشئة حتى يُبصروا دون غشاوةٍ، آيات الله في هذا الكون، الذي جعله الله بديعاً متناسقاً، دالاً على عظمته وجلاله. هذا نداءُ الفطرة الذي إن استقر في القلب فعل الأعاجيب، فكيف إن أدرك حقيقة التوحيد على علم ومعرفة، وعَلِم أن الله واحد في ذاته وصفاته وأسمائه، وأنه فردٌ لا مثيل له، وأنه صمدٌ لا ضدّ له، وأنه منفردٌ لا ندّ له، وأنه واحدٌ قديمٌ لا أول له، أزليٌ لا بداية له، مستمرُ الوجود لا آخر له، أبديٌ لا نهاية له، قيومٌ لا انقطاع له، دائمٌ لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال والجمال والكمال، تعالى أن يحلّ في شيءٍ أو يحلّ فيه شيءٌ أو يتّحدَ مع شيء.

ولقد فصّل عُلماء السنة أحكام الدين على أقسام مختلفة، منها ما يتعلق **بتفسير القرآن**، وبرز من المفسرين: الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والجلالين، وغيرهم. ومنها ما يتعلق **بعلوم الحديث**، وبرز منهم: البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الستة. ومنها ما يتعلق **بالفقه وعلومه**، وبرز منهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد. ومنها ما يتعلق بالتوحيد وعلومه، وبرز منهم: أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، ومن علومها العقدية سرتُ في فهمي ودروسي التي كان منها هذا الكتاب. وإن السَّواد الأعظم من المسلمين في السابق، وفي وقتنا الحاضر هم إمّا: من **الأشاعرة**، نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أو من **الماتريدية**، نسبة إلى الإمام أبي منصور الماتريدي. ومن العلوم ما يتعلق بمرتبة **الإحسان أو التزكية أو الأخلاق**، وهو ما عبرت عنه بعلوم التصوف، وبرز من علماء هذا العلم الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد، والإمام أبو حامد الغزالي.

وفيما يتعلق بهذا الكتاب وسبب نشره، فإنه عبارة عن مجموعة من الدروس والمحاضرات كنت قد ألقيتها قديماً في زاويتنا، زاوية الأشراف، في بيادر وادي السير،

وفي قاعة دار الإيمان الملحقة بهذه الزاوية، ثم رأى إخواننا أن نحّول هذه الدروس والمحاضرات إلى كتاب يستفيد منه طلاب العلم في زاويتنا، وطلاب المدارس في مدارسنا، والطلاب المنتفعون من خدمات مثابة دار الإيمان، والطلاب الذين يلتحقون في بيوت الطلبة التي أنشأناها لرعاية الطلاب المتميزين من فقراء المسلمين.

وقد كنت أحرص دائماً في دروسي، على تبسيط مسائل العقيدة وحلِّ ألغازها، لما رأيته من كثرة شكاوى طلاب العلم وبحثهم عن العقيدة الميسرة، سيما الطلاب الذين يدرسون في تخصصات غير تخصص الشريعة وعلومها. وقد كانت هذه الدروس تصبُّ في هذا الاتجاه، لإخراج مادة عقدية ميسّرة، تستند إلى الدليل الشرعي الصحيح من كتاب وسنة، وعلى منهج الأشاعرة والماتريدية.

ثم إن المصيبة الأكبر التي وقعت فيها الأمة في هذا الزمان، انكباب طائفةٍ من المسلمين، على تكفير بعض المسلمين وإخراجهم من الملة الإسلامية، وإطلاق أحكام الرِّدة على السَّواد الأعظم من المسلمين وعلى نهج أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية الذين كانوا لا يتسرعون في الحكم بالكفر على غيرهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه"**[1].

وبهذا المستوى من المسؤولية سرتُ في هذه الدروس، وأنا أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يباهي بكثرة أمته، أما هؤلاء، فمن خالفهم في فقههم وفهمهم كفّروه وأحبطوه.

---

١ متفق عليه

وقد لفتُ الانتباه مراراً وتكراراً إلى أن السَّواد الأعظم من المسلمين، هم من الأشاعرة والماتريدية، بل إن كبار علماء المسلمين من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين ومتكلمين، هم من الأشاعرة والماتريدية، فالمالكية والشافعية وسواد الحنابلة أشاعرة، والحنفية ماتريدية، فهل يُكفر جميع هؤلاء!

لقد حرصت في دروسي جميعها على أدلة العلماء الأفاضل من كتاب وسنة، وأقوالهم رحمهم الله، وكان الشَّاهد الأول الذي اعتمدته في تصنيف الكتاب، هو الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل غريب، فسأله على مسمع الصحابة عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، ثم سأله عن الإيمان "وهو محور بحثنا في هذا الكتاب"، فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، ثم سأله عن الإحسان "الذي هو نتيجة العمل بأركان الإسلام وأركان الإيمان، وهو بحث أهل التصوف"، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وقد كنت أثناء إعدادي للدروس أرجع إلى كتب علماء العقائد والتوحيد من أشاعرة وماتريدية، كالبيهقي، والباجوري، واللقاني، وكتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، وغيرهم من علماء التوحيد رحمهم الله جميعاً.

هذا وإني لأرجو الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله نوراً لي ولمن قرأه، في القبر وفي المحشر وعلى الصراط، وحجة لي ولهم بين يدي الله عز وجل،

وأسأله تعالى أن ينفع به طلاب العلم، وأن يجعله من العلم الذي ينفعني عند انقطاع عملي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، طِبِّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه في ١ محرم ١٤٣٣هـ

الفقير لعفو ربه والراجي القبول

حسني حسن الشريف

مقدمة في علم التوحيد ومباحث العقيدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وفقهنا في الدين، وعلمنا التأويل.

الإسلام: هو الدين المقبولُ عند الله عز وجل: **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ)**[٢].

ومراتب الدين الإسلامي ثلاث: **الإسلام**، و**الإيمان**، و**الإحسان**.

ومرتبة الإسلام: ترتبط بأحكام الشريعة التي هي الالتزام بالعمل الذي أمر الله به ورسوله، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه. وقد اهتم علماء المسلمين بهذه العلوم المتعلقة بالطاعات وألَّفوا فيها علوماً سميت **(علم الفقه)**.

أما **مرتبة الإيمان:** فتتكلم عما استقر في القلب من علوم وأحوال، وقد ألَّف فيها العلماء كتبا سميت **(علم التوحيد)**.

أما **مرتبة الإحسان:** فهي الجامعة لعلوم العقيدة والشريعة، وما ينتج عن الالتزام بهما من أحوال، وما يلزم الإنسان من سلوك ومقاومة لنوازع الشرِّ عنده، حتى يتوصل إلى الالتزام بالمراتب الثلاث، وقد ألَّف فيها العلماء علوماً وكتباً سميت **(علم التصوف)**.

---

٢ الآية ٨٥ سورة آل عمران.

وحديث جبريل يجمع هذه المعاني والمراتب: **"عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأَمَةُ ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت مليّاً، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"** [٣].

<u>والعقيدة الإسلامية</u>: هي الأمور التي يعتقدها أهل الإسلام ويجزمون بصحتها وأركانها، وللعقيدة الإسلامية ستة أركان هي: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بملائكته، والإيمان بكتبه، والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر. وهي أساس العلوم، وكل علم وكل عمل يُبنى على هذه العقيدة، فإذا كانت العقيدة صحيحة فالعمل صحيح، وإذا كانت العقيدة غير صحيحة فالعمل مردود.

---

[٣] مسلم

والأهمية كبيرة لمعرفة العقيدة، **قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**[٤]. وإذا كان رأس الأمر الإسلام والعمود هو الصلاة، فأين الأساس؟ الأساس هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما والى ذلك، هو هذه العقيدة. فلا يمكن أن تبني بيتاً من غير أساس، أو من غير قواعد، أو من غير جسور أرضية، لا يمكن لنا أن نضع هذا العمود هكذا على التراب، لابُدّ وأن نضعه على قواعد متينة،وهذه القواعد المتينة هي العقيدة الصحيحة، لأن العقيدة ثمارها الإخلاص، إخلاصٌ في التوجه لله عز وجل، كلنا بحاجة إلى دروس العقيدة حتى نفهم أصول هذا الدين.

وسنطرح العقيدة بأسلوب مبسط، طالما أن الأمور واضحة عندنا من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء العاملين المجمَع على صلاحهم وتقواهم، نرجع عند الاختلاف إلى الأصول، وإذا استعصى علينا الفهم نفوض الأمر إلى الله في المعنى إلى الذي أراد.

وعلى سبيل المثال، لو اختلف اثنان في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: "**أن الله عز وجل ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا**"[٥]، فقد قال بعضهم في كيفية النزول: أنه ينزل إلى السماء الدنيا كما أنزل عن منبري هذا، وقال بعضهم: كيف ينزل؟! وكيف تكون هيئته في النزول؟! نقول في موقفنا هذا: **نحن لا نشبه** لأن الله **تقدس عن التشبيه والتمثيل**، نحن هنا نقول بأنه تعالى ينزل نزولاً بالمعنى الذي أراد، كما

---

٤ الترمذي، وابن ماجة، وأحمد.

٥ الحديث، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ صحيح البخاري.

يليق بكماله وجلاله وجماله. **هكذا نفوض**. ولست مستعداً أن أبحث كيف نزل، **فلا أكون من المشبّهة، ولا أكون من المعطّلة، ولا أكون من المجسّمة**، ولا أقول: أن له يداً مثل يدي هذه. لم هذا الكلام؟!

أو أنَّ الله عز وجل يجلس على كرسيه، **(ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ)**[٦]، **(ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)**[٧]، أُؤمِنُ بأنه استوى على العرش، إنما كيف؟ نحن نفوّض بالكيف، أما من يقول: يجلس على كرسيه كما أجلس على كرسيي، فهذا تشبيه، وربنا ليس كمثله شيء، فندين الله بالإيمان بأنه يستوي على العرش استواء يليق به وفق ما أراد، والمراد هنا أن كل ما علا فهو سماء، والفوقية التي وردت في الآية **(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ)**[٨] تعني **فوقية مكانةٍ لا فوقيةَ مكان**، والعرش فوق السماوات، بل أعلاها جميعاً، والاستواء على العرش بالكيفية التي أرادها الله، **وتعالى الله أن يكون في شيءٍ خلقَهُ، فهو استواء منزهٌ عن الحلول والاتحاد، بلا كيف ولا استقرار، فوقية لا تزيده قرباً من العرش**. قال ابن عباس: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله، فإن بين كرسيّه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك، كما أوضحنا بأنها فوقية مكانة لا فوقية مكان، لذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: **"تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله، فلن تقدروا قدره"**[٩]. فلا نريد الخوض فيما لا طائل من الخوض فيه، ونريد الإيجاز ليستفيد منه كل الناس، نريد الحديث في المذاهب المتفقة

---

٦ الآية ٥ سورة طه.

٧ الآية ١٦ سورة الملك

٨ الآية ١٨ سورة الأنعام

٩ الحديث، ورد بروايات متعددة منها الموقوف، ومنها المرفوع كما هو عن ابن عباس كما في الحلية لأبي نعيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله.

على الجواهر العقدية الكبيرة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والقرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على قلب رسوله، ونبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكعبة المسلمين الواحدة، وأن الجنة حقّ، والنار حقّ، والبعث حقّ، والحساب حقّ، وأن الله يبعث من في القبور، ثم الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا يكفينا لجمع كلمة المسلمين على قوس واحدة. وباختصار، نريد الوقوف على كلمةٍ سواءٍ، تجمع المسلمين على عقيدة الأشاعرة والماتريدية، على اعتبار أن السواد الأعظم من المسلمين، سابقاً وحالياً، هم على هذه العقيدة رغم اختلاف مذاهبهم الفقهية.

نمرُّ في هذا الزمان بفترة، نحن أحوج ما نكون فيها إلى رصِّ الصفوف في مواجهة شراسة أعدائنا، المتربصين بنا، والسلاح الأقوى الذي يُشهره في وجوهنا، ويستطيع أن يتغلب علينا به هو سلاح التفريق وإثارة الفتن، وما من سلاح نستطيع أن نواجه به هذه الشراسة إلا سلاح التضامن والوحدة والامتثال للأمر الواجب، الوارد في قوله تعالى: **(وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)**[١٠]. ورغم تكرار سماع السواد الأعظم من المسلمين لهذه الآية، بل وحفظها، نقول: ومع ذلك فإننا أمام واقع يناقض نصَّ وروح هذا الأمر الإلهي. نجد في المسلمين، ونحن أمام هذا المنعطف التاريخي الذي نعيشه في هذه الأيام، والذي **يستعمل فيه عدونا أمضى سلاح للتغلب به علينا، ألا وهو سلاح التفريق والتمزيق وإشاعة أسباب الخصام بين المسلمين**، نجد في المسلمين من لا شغل له إلا أن

---

١٠ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. الآية ١٠٣ سورة آل عمران.

ينفخ في نيران هذه التفرقة، أو ينفخ في نيران الخصام والشقاق بين الإخوة المسلمين، ويَغُضُّ الطرف عن القاعدة القائلة: **إننا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر**. ألا ما أبعدهم عن روح الإسلام وأخلاقه، ألا إنهم مرضى الانفصام الصارخ بين ما يحفظون وبين ما يفعلون، وبين نصوص الإسلام وبين تصرفاتهم، وبين عبادات الإسلام وبين أخلاق الإسلام.

تخيلوا معي أفراد أسرة في بيت واحد، لهم مشارب في العلوم شتى، ويختلفون فيما بينهم في أمور الدنيا والعمل وأساليب الإدارة. وذات يوم شبّت النيران داخل هذا المنزل، وستأتي النيران على كل من في المنزل، فما هو موقف هؤلاء من هذه النيران؟ إنهم إذا كانوا يتمتعون بأدنى درجات العقل والوعي فسينسون خلافاتهم، ويجتمعون جميعاً إلى إطفاء هذه النار، لكن للأسف، فإن في أعضاء هذه الأسرة، أسرة الإسلام اليوم، من لا يبالي بهذه النار التي تهدد الأسرة، وتهدد بالقضاء على هذه الأمة بكل من فيها، بل ونجد من ينفخ في هذه النار لتزداد أواراً واشتعالاً حتى لا تبقي ولا تذر. متى يدرك هؤلاء أن الله خلق خلقه مختلفين، وأن الاختلاف رحمة، ولذلك خلقهم، كما قال في محكم تبيانه[11]، لكن يأبى هؤلاء إلا أن ينفخوا في أخطر نار فتلتهب، ألا وهي نار الخصام والشقاق دون مبرر، وقد أخبرنا تعالى عن هؤلاء بقوله **(هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ**

---

١١ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ. الآية ١١٨ و ١١٩ سورة هود.

ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ)[١٢].

نعم، **لنا في الآيات المحكمات الصريحة الواضحة ما يجعلنا نلوذ إلى حصن الوحدة والتضامن**، وهذا يكفينا، فلماذا نعرض عن المحكم وننشغل بالمتشابه؟! فللّه نشكو هؤلاء الذين يوقظون الفتنة، ويتعمدون الابتعاد عن المحكم ليحققوا من خلالها أهدافهم في تفريق جمع الأمة الضعيف أصلاً، ويخدمون أعداء هذه الأمة عن قصد أو غير قصد، وهم لا يبالون بهؤلاء الأعداء الذين يقتلون الأبرياء، ويحتلون الديار، ويدنسون المقدسات، ويهدمون البيوت على أربابها، ويهتكون الأعراض، لا يبالون بالقمع القادم من خارج الديار ومن داخلها عبر الطغاة الظلَّام، لا يبالون بذلك كله لأنهم مشغولون بهمّهم الوحيد، وهو النفخ في هذه النار، وإن لم تكن موجودة يوقدونها ثم ينفخون فيها، نعم! مشغولون بتكفير السواد الأعظم من الأمة بتكفير الأشاعرة والماتريديين، وتكفير هؤلاء، وتبديع هؤلاء، ودفع المسلمين جميعاً إلى عرصات الخصام والشقاق، فهل رأيناهم يوماً معنيين بما يفعله الأعداء الذين يُهلكون الحرث والنسل؟! أبداً، إنهم معنيون بتكفير الأمة بأشاعريتها وماتريديتها، وهؤلاء الأشاعرة والماتريدية هم السواد الأعظم لهذه الأمة، ونحن نعلم ونعمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: **"عليكم بالسواد الأعظم"**[١٣]، وبوصاياه وأقواله التي تنص على أن السواد الأعظم من أمته لا يجتمع على ضلالة.

---

١٢ الآية ٧ سورة آل عمران.

١٣ عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ". ابن ماجة.

الأشاعرة والماتريدية هم الذين يسّرهم الله لهذه الأمة، فقضوا على الفرق المبتدعة التي سادت في عصر من العصور، ثم بادت بفضل الله ثم بجهود هؤلاء المخلصين من أتباع ذينك الرجلين اللذين عاشا في لب عصر السلف، والّذَين قيض الله منهما سبيلاً للقضاء على المعتزلة والجهمية والمرجئة والحشوية والقدرية، إلى آخر من هنالك. وشكرت لهم الأمة على مرّ العصور اللاحقة هذا الجهد وهذا العمل.

واليوم نجد من لا يشعر بهمّ المسلمين والمصائب التي حاقت بعالمنا العربي والإسلامي، ولا يشعر بالتغيير التاريخي القادم الذي نقف أمامه بحذر وخوف وتفاؤل أيضاً. لا يشعر بالنار التي تلتهم منزل هذه الأسرة الإسلامية، إنما هو في شغل شاغل متجه إلى وظيفة أقيم عليها، إلى تبديع أو تكفير الأشاعرة، واستثارة أسباب الشقاق مِن لا شيء. وكم رأينا ما يكون في المساجد أو البيوت أو الأفراح أو الأتراح، يكون الناس متآلفين متوادين متعاونين، وإذا بأحد هؤلاء يبدأ ببث أسباب الشقاق والفرقة يسألك ببلاهة: أين الله؟!

ومن هنا يبدأ، ويقول: أقول كما قال الله تعالى: **(ءَأَمِنتُمْ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)**[١٤]. هو في السماء.

فيجيبه أحدهم، فما تقول في قوله تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِي ٱلأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ)**[١٥]، وفي قوله: **(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)**[١٦]، وفي قوله: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ)**[١٧].

---

١٤ الآية ١٦ سورة الملك.
١٥ الآية ٨٤ سورة الزخرف.

فيقول ذلك المغرض: كفرت، ينبغي أن تقول: الله في السماء. في السماء؟!

وهذه الآيات الأخرى! أليست من القرآن؟! بلى إنها من القرآن ولكنه لا يفقه من الكتاب الذي نزل إلا هذه الآية وحدها، لكي يبث الفرقة والشقاق، وإلا فما معنى أن الله ينزل في الثلث الأخير من كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ ينبغي أن يقول: ينزل، يكون فوق العرش فينزل، فإن قال: ينزل بعلمه وبرحمته وبقدرته وبلطفه وتجلياته، يقول: كفرت، عطلت كتاب الله عز وجل. يسأله سؤال مستفهم: حسناً، في أي ساعة ينزل؟ يقول: ينزل قبل الفجر بساعة ونصف. يقول له: حسناً، قبل الفجر بساعة ونصف في بلاد الشام هي قبل الفجر بثلاث ساعات أو أربع ساعات في الهند أو إندونيسيا، وهي قبل الفجر بسبع ساعات في بلد أبعد إلى الشرق، وهي قبل الفجر بعشر ساعات في اليابان أو نحوها، إذاً ينبغي أن ينزل الله عز وجل في كل لحظة حسب الأماكن التي يكون وقت نزوله فيها قبل الفجر بساعة ونصف. قال: نعم، قال فإذاً متى يستوي الرب على العرش؟ هو مشغول بالنزول هنا وهنا وهنا خلال الأربع وعشرين ساعة دون توقف، متى يكون الإله مستوياً على العرش؟ يسكت ثم يقول: مهما يكن الأمر فأنت مبتدع، أنت كافر، أنت كذا...

يا هؤلاء: أمتنا تبضع وتقطع أوصالها، أمتنا تذبح من الوريد إلى الوريد من قبل أعدائها وطغاتها، والله يحذركم من هذا الذي تخوضون فيه، ولكم في الآيات المحكمة في

---

١٦ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. الآية ٤ سورة الحديد.
١٧ الآية ١٦ سورة ق.

كتاب الله غنى، يكفيك أن تقول: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**[١٨]، يكفيك أن تقول: **(وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)**[١٩]، يكفيك أن تقول: ينزل إلى السماء الدنيا بالكيفية التي عناها، والتي تليق بجماله وجلاله. فلماذا تحاول إشعال نار الفتن فوق هذه النيران التي تلتهم هذه الأمة؟!

١٨ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَاجاً وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَامِ أَزۡواجاً يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِ شَيۡءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى

١٩ الآية ٤ سورة الإخلاص.

الباب الأول: العقيدة والإيمان والمعرفة

أهمية العقيدة:

ومن هنا ندخل إلى الحديث عن أهمية هذه العقيدة، وأهمية هذا التشريع في **تنظيم حياة الناس بما يتناسب مع فطرة الإنسان**، حيث حاول البعض في موضوع العقيدة أن يوجدوا بدائل، هؤلاء الذين بُهروا **بثقافة الغرب**، وبُهروا **بثقافة الملاحدة**، حاولوا إيجاد نظم، لكنّ هذه النظم وضعية لم تتناسب مع طبيعة الإنسان الفطرية، فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها، لا يليق بها إلا النظام الذي وضعه رب العالمين، فأوجدوا **الرأسمالية**؛ نظام يجعل الإنسان مثل الحيوان، يعبّ من الشهوات والملذات، ويغرق في متطلبات بطنه وفرجه، غولٌ لا يشبع ولا يرحم، لا يُشفق على مسكين، ولا يُشفق على فقير، ولا يُشفق على جائع، هذا هو نظام الرأسمالية، لا يمت إلى الله عز وجل بصلة، الإنسان هو عبارة عن حيوان بشري متكلم، ولهذا فشل هذا النظام، ونحن نشهد اليوم حالة الترنح التي يعيشها اقتصادهم؛ انظروا إلى مجتمعاتهم الآن والتي تشهد على فشل هذا النظام، تفكك الروابط الأسرية، والبعد عن الأخلاق وفسادها، واختلاط الأنساب، والفراغ الروحي، والضياع، كل هذا من صفات المجتمع الرأسمالي. كما أوجدوا **المجتمع الماركسي** الملحد الذي سقط من تلقاء نفسه سقوطا مدوياً، وفي **الشرق الملحد** أيضاً، تجد الاضطراب النفسي، وتجد الضياع، وتجد الهروب إلى المخدرات، والهروب إلى المسكرات، لأنه مضطربٌ عاند فطرته فأصبحت حياته كلها مضطربة. ولا خلاص للأمة إلا **بالعودة إلى العقيدة الصحيحة** لإيجاد الفرد المسلم الصالح النافع، الذي يمتثل لأمر الله عز وجل ويسير على هذا المنوال الذي ارتضاه ربنا.

ولا خلاص للبشرية اليوم مما تعانيه من أزمات في أخلاقها وسلوكها ومعتقدها وعلم اجتماعها واقتصادها، إلا بالعودة إلى هذه العقيدة التي ارتضاها الله لخلقه أجمعين، كما لا يَصلح أمر هذه الأمة في آخرها إلا بما صَلح به أولها. يقول ربنا: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ أَعْمَىٰ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً، قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنْسَىٰ)**[20]. حتى وإن أبدع في علوم الدنيا **(حَتَّىٰ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ)**[21]، **(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ)**[22]

حول معاني الإيمان والمعرفة:

العقائد جملة: هي ما يؤمن به المسلم إيماناً صادقاً جازماً، يؤدي إلى الارتقاء بأحوال قلبه حتى يكون دافعاً له للإيمان بالغيب. وهي أول الأصول أهمية للمسلم، وواجبة شرعاً على كل مكلف لقوله تعالى: **(فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ)**[23] ، إذاً أمرُ الله تعالى لنا جميعاً واضح جداً بقوله: **(فَٱعْلَمْ)، وهذا ما يفيد الوجوب.**

ويتفاوت الناس في علم العقائد بين متخصص ومقلد ومسلم عادي. ويكفي أن يعرف أحدنا قواعد علم التوحيد، المتعلقة بمولانا جلّ جلاله وصفاته وأسمائه، وبحال الأنبياء

---

٢٠ الآية ١٢٤ - ١٢٦ سورة طه.

٢١ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. الآية ٢٤ سورة يونس.

٢٢ الآية ١٨٢ سورة الأعراف.

٢٣ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ. الآية ١٩ سورة محمد.

والرسل عليهم الصلاة والسلام، وبقية الأمور الغيبية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم **(ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ)**[٢٤].

قال سيدنا الدردير[٢٥] رحمه الله تعالى في شرحه على (الخريدة): (والمراد من تصديقه عليه الصلاة والسلام: الإذعان والقبول لما جاء به، بحيث يقع عليه اسم التسليم من غير تكبر وعناد، لا مجرد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب، من غير إذعان وقبول، حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا عالمين بحقيقة نبوته عليه الصلاة والسلام وما جاء به؛ لأنهم لم يكونوا أذعنوا لذلك ولا قبلوه بحيث يطلق عليه اسم التسليم. وعلى هذا **فالإيمان الشرعي: هو حديث النفس التابع للمعرفة**. أي الإدراك الجازم، بناء على الصحيح من أن إيمان المقلد صحيح. فالإذعان والقبول والتصديق والتسليم عبارات عن شيء واحد، وهو حديث النفس المذكور، فيكون الإيمان فعلاً من أفعال النفس، وليس من قبيل العلوم والمعارف، ويظهر من كلام بعضهم أنه الراجح) ا هـ.

بماذا نؤمن حتى نكون على عقيدة صحيحة؟

نؤمن بالله عز وجلّ، خالقاً واحداً لا نشرك به شيئاً، ونؤمن أن الله بخلاف كل تصور، إذ ليس كمثله شيء: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِير)**[٢٦]، **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ**

---

٢٤ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. الآية ٣ سورة البقرة.

٢٥ هو الشيخ أحمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، شيخ الرواق بالأزهر، وشيخ أهل مصر بأسرها في وقته، حِسّاً ومعنى.

٢٦ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى.

وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)[٢٧]، وأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي وصف بها نفسه، أو تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقصان، فهو السميع البصير، الفعَّال لما يُريد، الكبير المتعال، لا إله إلا هو.... له الأسماء والصفات الكاملة بالمطلق، والمنزهة عن صفات النقص التي لا تليق بجلال وجمال وكمال الله.

ونؤمن بأنه بعث إلينا الرسل ليدلّونا على توحيده وما فيه خير ديننا ودنيانا وآخرتنا، ونؤمن بأن خير وآخر الأنبياء هو نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)**[٢٨]، وأنه صاحب الشفاعة واللواء المحمود والحوض المورود، وصاحب العصمة الذي لا ينطق عن الهوى، **(إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ)**[٢٩]. ونؤمن بإخوانه من الرسل الذين بعثهم الله لهداية الناس، وهم معصومون ومنزهون عن الأهواء والنقائص.

ونؤمن بالبعث والنشور، وبيوم الحساب، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة، والجنة مأوى المؤمنين، والنار مثوى الكافرين المتكبرين.

ندين الله عز وجل بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه.

---

٢٧ الآية ٣و٤ سورة الإخلاص.
٢٨ مسلم، أحمد.
٢٩ الآية ٤ سورة النجم.

ونقول أنَّ من استحلّ كبيرة من الكبائر، كالزنا وشرب الخمر وما أشبهها غير معتقد بتحريمها كان كافراً.

وندين الله بأن لا نُنْزِل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً، إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.

نؤمن بجواز الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم، ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم **"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"**[٣٠].

ندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة، برّهم وفاجرهم، وتوارثهم.

كما نؤمن بوجود الملائكة والكتب المنزلة على الرسل، ونؤمن بالقدر خيره وشره.

ومن قال بأن الحقَّ والخلقَ واحدٌ فقد كفر، ومن قال بأن الله قد حلَّ في شيء من مخلوقاته فقد كفر، ومن قال بأن الله قد اتحد مع شيء من خلقه فقد كفر.

واجب الدعوة:

نؤمن بأن أمتنا الإسلامية أمة خيريّة منصورة، وأن الخير فيها إلى يوم القيامة، وأن الله يجدد لهذه الأمة كلما وهَنَ أمرها، ونعمل جاهدين لإصلاح ما فسد، بالدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، في جوّ يسوده قبول الرأي والرأي الآخر، والانفتاح

---

٣٠ مسلم.

على الآخر، وإن اختلفنا معه في الفهم أو المنهج أو في التفاصيل، فكل المسلمين - على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم - مسلمون ينعقد الأمل على جمعهم تحت راية الإسلام، وليس من حق أحد تكفير أي منهم، فأمرهم إلى الله، ونحن ندعوهم على بصيرة. ونفهم معنى أمة الدعوة وأمة الإجابة، وأن مشروع الدعوة يقوم على المحبَّة، فكل المشاريع التي قامت على الكراهية قد فشلت، واستعدَت الأعداء علينا، وأظهرت الإسلام على أنه دين عنف وتطرف. وبالتالي، المطلوب في النهاية أن نؤدي الرسالة للوصول إلى كل القلوب، حتى الفاجر، بلغة خطابٍ فيها عفة اللسان والأدب مع الناس كافة، دعوة بعيدة عن العصبية والإقليمية والقومية، بعيدة عن فساد وعمى القلوب، بعيدة عن الحقد في الصدور الذي يجعل المسلم يقتل أخاه، دعوة تقوم على الجوهر لا على المظهر، دعوة لا تنظر إلى أغراض دنيوية.

والمطلوب باختصار، نية صالحة، وإخلاصٌ وصدقٌ تكون سبيلاً لمرضاة الله، تُنجح العمل، وتضع البركة في الوقت، بها نعرف أهدافنا وخارطة طريقنا، تقلب العادة عبادة، وتجعل المستحيل متاحاً، وتُحوّل الأفكار إلى خطط تُنفّذ بالعزم والإصرار، وتوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة. لذا المطلوب استقامة ودعوة بالقدوة الحسنة، والعمل بهمّةٍ وجهد عال مع التضحية بالوقت والجهد والمال والنفس. وتلطف وود وتحاب، وخفض للجناح.

أمّة الدعوة وأمّة الإجابة:

احتج البعض بالحديث المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يروونه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)**. وقاموا اعتماداً على هذا الحديث

المنسوب، بزرع الفتنةِ بين مدارس الإسلام وتياراته الفقهية والمذهبية، وأحدثوا بذلك شرخاً في جسد الأمة، فكل من خالفهم في فهمهم وفقههم واجموه بهذا الحديث، واستدرجوا العامة الذين لا حظّ لهم من العلم، فاستَعدُوهم على بقية المسلمين، وكانوا في ذلك المنهج يقصدون إفهام الناس أنهم هم الناجون وحدهم، وأن كل من خالفهم فهو من الفرق الضالة المخلدة في النار.

ولنا في هذا الحديث رأي في سنده ومتنه. أما الرأي في سنده، فإنا نشارك الكثيرين من علماء الحديث القول بعدم صحة هذا الحديث لضعف إسناده، فهو حديث باطلٌ، وأسانيده من جميع طرقه ضعيفة لا تخلو من مقال، لأن الله تعالى يصف أمة رسوله صلى الله عليه وسلم بالأمة الخيرية، والأمة الوسط **(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)**[31]. وظاهر هذا الحديث يقرر أن هذه الأمة من أمم الفتن والفساد والافتراق. فكيف تفترق هذه الأمة المرحومة والخيرية والوسط والعدل على ثلاث وسبعين فرقة والله تعالى يقول: **(وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[32].

<u>كما أن أمّة الدعوة:</u> هي الأمة التي يتوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه أن يتوجهوا لها بالدعوة إلى الإسلام، وتشمل كل البشرية على وجه الأرض، لأن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم تشملهم جميعاً لقوله تعالى: **(وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً**

---

٣١ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ. الآية ١٤٣ سورة البقرة.

٣٢ الآية ١٠٥ سورة آل عمران.

لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[٣٣]، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"وبُعِثتُ إلى الناس كافة"**[٣٤]. هذه هي أمة الدعوة.

أما أمّة الإجابة: فهي كل من استجاب لنداء الله ورسوله.

ومما نص عليه كثير من العلماء أن الافتراق هو في أمة الدعوة، وليس في أمة الإجابة. فليس في المسلمين فرقة ناجية على حساب أخرى، بل كل أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا بالوحدانية، وللرسول بالرسالة ونطقوا بالشهادتين فهم ناجون بإذن الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته"**[٣٥]، وهؤلاء هم السَّواد الأعظم من المسلمين، فإذا حصل الافتراق فيما بينهم، **فالهالك منهم من خرج من الملة بمكفر مجمع عليه.**

والذي ندين به في هذه القضية باختصار هو القول بنجاة المسلمين كلهم من النار، مع اختلاف مدارسهم ومشاربهم ومذاهبهم واتجاهاتهم، وذلك لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، للناطقين بالشهادتين بالنجاة من النار بإذن الله تعالى.

---

٣٣ الآية ٢٨ سورة سبأ.
٣٤ مسلم
٣٥ البخاري.

التكليف بالدعوة:

تحدثنا عما هو مطلوب من سواد المسلمين. أما وقد سخّرنا الله عز جل لخدمة دينه والدعوة إليه، فالأمر يختلف، إذ أننا في دعوتنا نتعرض لأسئلة المدعوين لمسائل تشكل عليهم، كما نتعرض لشُبَهٍ يُثيرها حاقدون مشككون، فالواجب علينا في هذه الحالة أن نعرف تفاصيل هذه الإيمانيات بما يتوافق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبقية مصادر التشريع الإسلامي، التي هي مصادر ديننا الحنيف.

جميع المسلمين مكلفون بهذه الحقائق الدينية ومسؤولون عنها، عاديين كانوا أم متخصصين. فكيف يكون التكليف؟ ومن هو المكلف؟

على المربي أن يقدم لأبنائه في أول وعيهم ثوابت العقيدة التي ذكرت ليحفظوها حفظاً ولو من غير فهم، حتى إذا أدركوها، عرفوا معانيها شيئاً فشيئاً، فالحفظ أولاً، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق، فهو بهذا الترتيب لا يحتاج إلى الأدلة، لأن فطرته السليمة تتوافق مع هذه الحقائق، بل تزيده رسوخاً.

من هو المكلف؟

المكلف: هو البالغ العاقل من ذكر أو أنثى من الثقلين، المطالب بتطبيق الأحكام الشرعية كما جاءت، واجتناب ما نهى الشرع عنه، يُثاب من انتهى ويُعاقب من وقع.

ويضيف العلماء إلى شرطي البلوغ والعقل شرط بلوغ الدعوة إليه: **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً)**[٣٦]. كما أضاف آخرون سلامة الحواس، ولو السمع أو البصر.

أما الصبي أو المجنون فليسا من أهل التكليف.

ويجب على كل مكلف أن يتعلم هذا العلم لأنه فرض عين حتى يضمن عقيدته من الضلال، ويعلم ما علم من الدين بالضرورة.

ولا بد لحامل لواء الدعوة إلى دين الله أن يتعلم هذا العلم بأحكامه وقواعده.

من هو المقلد؟

المقلد: هو الذي يجزم بالعقائد، متبعاً غيره من غير دليل، وهو مؤمن إذا لم تكن له الأهلية للنظر في الدليل، أما إذا كانت لديه الأهلية لمعرفة الدليل واقتنع به فهو ليس مقلداً، فلو سئل ما الدليل على وجود الله، فأجاب: الدليل هو وجود كل هذه المخلوقات التي تسير وفق نظام دقيق ثابت، ولولا أن لها موجداً واحداً لاختل نظامها، هذا دليل عقلي يخرجك من كونك مقلداً، وتحقق فيه الوجوب العيني للخروج من التقليد. أما إذا استرسلت في الدليل وجئت بالأدلة التفصيلية الكثيرة كقوله تعالى: **(ٱللَّهُ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ)**[٣٧]، **(ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)**[٣٨]، **(ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ)**[٣٩]، **(ءَامَنَ**

---

٣٦ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً. الآية ١٥ سورة الإسراء.

٣٧ الآية ٢ سورة آل عمران.

٣٨ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. الآية ٦٢ سورة الزمر.

٣٩ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ. الآية ٢ سورة الملك.

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ)[٤٠]، ....فهذا دليل تفصيلي لأهل الاختصاص، وهو فرض كفائي.

إذاً كلُ من أقرَّ بأركان الإيمان التي ذكرنا بدليل عقلي، أو تفصيلي، أو كان مقلداً معتقداً جازماً في تقليده، أو وُلد من أبوين مسلمين أو واحد منهما، ومن كان كافراً ونطق بالشهادتين، وكل من لم يقترف جرماً يقدح في إيمانه، كإنكار ما علم من الدين بالضرورة، فهذا مؤمن يُشهد له بالإيمان، ويُعامل في الدنيا معاملة المسلمين، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته**"[٤١].

كيف تبدأ بمعرفة الله؟

ذهب جمهور مشايخ الحنفية، إلى أنه تعالى لو لم يبعث للناس رسلاً وأنبياء، لوجب عليهم بعقولهم أن يستدلوا على الله، ويعرفوا وجوده وصفاته، وكونه خالقاً للعالم.

وعلى ذلك، فالمطلوب من المرء المكلف أن يعرف الله، وصفاته، ويعتقد جازماً بوجود الله، وأن الله خالق كل شيء، وأنه واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأنه تعالى متّصف بكل صفات الجلال والجمال والكمال التي تليق بعزته وعظمته، منزّه عن صفات النقص التي لا تليق بعظمته.

---

٤٠ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ. الآية ٢٨٥ سورة البقرة.

٤١ البخاري.

وللإيقان والتحقق بهذه المعاني، فإنه على المرء أن يسلك درب النظر والتأمل في خلق الله، كما قال تعالى: **(وَفِي ٱلأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ، وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ)**[٤٢]، **(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ)**[٤٣] **(قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ)**[٤٤]، **(فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلاَّ ٱلضَّلاَلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ)**[٤٥]. والعاقل الحصيف يستطيع بالدليل العقلي أن يتوصل إلى معرفة الله عز وجل. وقد ذكر العلماء أنَّ لهذه المعرفة طرقاً ومسالك عديدة، حتى قال قائلهم: "معرفة الله لها طرائق بعدد الخلائق أو بعدد أنفاس الخلائق".

انظر إلى آيات الله في قرآنه، هذا القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تملّه العلماء كما قال صلى الله عليه وسلم: **"كتاب الله، هو خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم"**[٤٦]، تأمل آيات الله الدالة فيه، وتأمل سنن الله فيه، ولاحظ ما فيه من الإعجاز، وما اتفق فيه العلم في زماننا مع ما جاء به قبل أربعة عشر

---

٤٢ الآية ٢٠ و ٢١ سورة الذاريات.

٤٣ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ. الآية ١٩١ آل عمران.

٤٤ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. الآية ٤٦ سورة سبأ.

٤٥ الآية ٣٢ سورة يونس.

٤٦ الترمذي، ضعيف.

قرناً، مما يدل وبلا موارية على أنه من عند الله، وأن الله تعالى هو خالق الكون، وهو المتصرف فيه، وهو مالكه ومبدعه، وأن الإنسان يعيش بمقتضى أوامره، وأنه خالق الموت والحياة، وأنه صاحب البعث والنشور، وبيده ملكوت كل شيء، وبيده حساب الخلائق ومصائرهم إلى الجنة أو النار. قال تعالى: **(وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ، وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ، وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ، مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ، وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ، وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ، وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ، وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَاداً ٱلْأُولَىٰ،وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ)**[٤٧]

ثم تأمل في آيات الله كلٌ على حده، وانظر على سبيل المثال إلى وصف البحر في سورة النور: **(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ)**[٤٨]، وكيف أن العلماء اليوم اكتشفوا أن هذا الوصف هو الأدق لأعماق البحر، التي كان يستحيل على أبناء ذاك الزمان أن يصلوا إليها، وأن العلم بمكتشفاته اليوم برهن على أن هذا الوصف هو الأدق، مما يدل على أن القرآن من عند الله.

ثم انظر في نفسك، وفي جسدك، هذا الإنسان المركب من هذه الأعضاء العجيبة، وكيف امتزجت فيها الحياة بهذه الرتابة المعجزة من خلال مزج الروح بالجسد، والعروق والدم واللحم والعظم، قال تعالى: **(وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ)**[٤٩]، وأنك لو تأملت جهازاً من الأجهزة الحديثة كالتلفاز أو التلفون، ونظرت في عمله لتبادرت إلى ذهنك فوراً ٱلْمَعِيَّةُ

---

٤٧ الآية ٤٢ – ٥٢ سورة النجم.
٤٨ الآية ٤٠ سورة النور.
٤٩ الآية ٢١ سورة الذاريات.

من صنعه، فلا يمكن لهذا الجهاز أن يوجد نفسه، وإذا تعطل، ترسله للخبير في إصلاحه، فما بالك بجسم الإنسان أو الحيوان، أو حتى النبات، لا بد أنك ستصل إلى نتيجة أن لهذا الكون صانع عظيم.

ثم انظر إلى السماء وما فيها من أفلاك ونجوم ودروب ومجموعات تسير بنظام رتيب لا يعرف الخلل **(وَعَلَامَاتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)**[٥٠]. والشمس والقمر ودورتها المنتظمة في الإصباح والغروب، وعدة الأيام والشهور، أليس لهذا كله صانع عظيم؟ ألا يدلك هذا على صفات الله التي كلّفنا بمعرفتها والاعتقاد بها؟ كالوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والوحدانية، والقدرة، والإرادة، والغنى، والعلم، والأبدية، والسمع، والبصر. ألا تدرك الآن بثاقب بصيرتك أن هناك مستحيلات عقلية في حق الله كلفنا بمعرفتها، وهي لا تليق بكمال الله وجلال الله، كالعدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والافتقار، والتعدد، والعجز، والكراهة، والجهل، والموت، والصمم، والعمى، والبكم، أو كونه عاجزاً، ومكرهاً، وجاهلاً، وميتاً. نعم، تدرك بعين قلبك وثاقب فكرك، أن الله منزه عن أن يكون كشيء خلقه: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِير)**[٥١]. فهو أولٌ من غير بداية، إذ البداية بالعدم تسبق، آخرٌ بلا نهاية، إذ النهاية بالتحقيق تلحق، ظاهرٌ في كل شيء، إذ في كل شيء آية تدل على أنه هو الله الواحد الذي تقدس عن التشبيه

---

٥٠ الآية ١٦ سورة النحل.

٥١ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى.

والتمثيل، باطنٌ من غير غيبة إذ الغيبة محل التعطيل، واحد في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله[٥٢]. قال صلى الله عليه وسلم: **(كان الله، ولم يكن شيء غيره)**[٥٣].

زيادة الإيمان بالعمل الصالح ونقصانه بالعمل الرديء:

هذه مسألة اختلف فيها العلماء، فمن قائلٍ بأنه يزيد وينقص، إلى قائلٍ بأنه لا يزيد ولا ينقص، وبعضهم قال: أن الخلاف لفظي. **والراجح أن الإيمان يزيد وينقص**، وهو قول الأشاعرة، واستدلوا بقوله تعالى: **(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً)**[٥٤]، **(لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ)**[٥٥]، **(وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً)**[٥٦].

أبو حنيفة رحمه الله قال: بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. ودليله أن الإيمان تصديقٌ وجزمٌ وإذعان فلا ينقص، وإنما النقص يكون في موضوع الإيمان لا في أصله. والزيادة تكون بالعمل بمقتضى الإيمان. والخلاف هنا يبدو أنه في اللفظ، وهو لا يقدّم ولا يؤخّر، لأنه ليس من أصول الاعتقاد. والثابت أيضاً أن **إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص**. والثابت أيضاً أن **إيمان الفساق ينقص ولا يزيد**.

---

٥٢ من أوراد سيدنا عبد الرحمن الشريف.

٥٣ البخاري.

٥٤ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الآية ٢ سورة الأنفال.

٥٥ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً. الآية ٤ سورة الفتح.

٥٦ وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً. الآية ٢٢ سورة الأحزاب.

إذاً، نأخذ برأي الأشاعرة، الذين قالوا: أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وذلك للأدلة المشار إليها.

معاني الإيمان، التوحيد، الكفر، النفاق، الشرك:

الإيمان وأقسامه:

الإيمان: في اللغة مصدر آمن يؤمن، بمعنى الإقرار والتصديق. وفي الاصطلاح: هو التصديق بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله عز وجلّ.

يدخل المسلم بالإسلام بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، من قالها معتقداً دخل الجنة، كما دلّت على ذلك الآيات والأخبار الصحيحة، ومنها قوله تعالى: **(فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ)**[٥٧]، وقوله أيضاً: **(وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً)**[٥٨]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حقّ، والنار حقّ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل"**[٥٩]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أُمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني**

---

٥٧ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ. الآية ١٩ سورة محمد.
٥٨ الآية ١٣ سورة الفتح
٥٩ البخاري ومسلم

دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله"[٦٠]. دلت هذه الآيات والأحاديث وغيرها أن الله تعالى بيّن لنا أن التوحيد هو "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

التوحيد:

التوحيد: علم يستطيع من تعلمه أن يثبت به العقائد الدينية بالأدلة اليقينية القطعية من الكتاب والسنة والإجماع.

وأول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فالتوحيد أول ما يُدخَلُ به في الإسلام، وآخر ما يُخرَجُ به من الدنيا، كما قال صلى الله عليه وسلم: **"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"**[٦١]، فهو أول واجب وآخر واجب.

وعلم التوحيد: هو العلم المتعلق بذاته سبحانه وتعالى من حيث ما يجب في حقه وما يجوز وما يستحيل (الإلهيات).

أما العقيدة: فتتعلق بمرتبة الإيمان وأركانها الستة، ومنها التوحيد وما يتعلق بالرسل عليهم الصلاة والسلام من حيث ما يجب في حقهم وما يجوز وما يستحيل، والإيمان بالكتب المنزلة عليهم (النبوات). وكذلك الأمور السمعية، وهي الغيبيات كالملائكة، والجن، والحشر، والجنة، والنار، واليوم الآخر، ونعيم القبر الذي هو البرزخ، وكذلك الإيمان بالقدر خيره وشره.

---

٦٠ البخاري ومسلم
٦١ أحمد وأبو داود

وثمرة علم التوحيد: هي معرفة الله تعالى بالأدلة القطعية وصولاً إلى الأحوال القلبية المرسخة للإيمان بالغيب.

وعلم التوحيد بهذا المعنى من أشرف العلوم لتعلّقه بذات الله أولاً، وبالعلوم الشرعية الأخرى، وأعمال وأحوال المكلف وسعادته دنيا وأخرى انتهاءً.

واضع هذا العلم ابتداءً هو الله تعالى، لأنه أرسل الرسل والأنبياء بهذا العلم، وبه حاجَجَت الأنبياء أقوامهم.

أما واضع مسائله، أي الذي رتبها ووضعها في مصنفات خاصة لهذا العلم، فجماعة من أئمة آل البيت، جمعوا أقوال سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه، كسيدنا زيد بن علي، والإمام الصادق، ثم الإمام أبو حنيفة رحمه الله، وبعده ابن كُلَّاب، وعلى مذهبه البخاري. ثم جاء أبو الحسن الأشعري، الحفيد الرابع لأبي موسى الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، فألفا فيه وصنفا المصنفات في الرد على المشبهة والمجسمة وغيرهم.

الكفر وأنواعه:

تعريف الكفر: لغة هو التغطية والستر، وشرعاً ضد الإيمان، فإن الكفر هو عدم الإيمان بالله ورسوله.

أنواع الكفر: الكفر نوعان، كفر أكبر يخرج من الملة، وكفر أصغر غير مخرج من الملة.

النوع الأول: الكفر الأكبر: أما الكفر الأكبر فهو خمسة أقسام:

١- **كفر التكذيب:** قال تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ)**[٦٢].

٢- **كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:** مثل كفر إبليس، قال تعالى: **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ)**[٦٣]

٣- **كفر الشك:** وهو كفر الظنّ، قال تعالى: **(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً، وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً)**[٦٤].

٤- **كفر الإعراض:** قال تعالى: **(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ)**[٦٥].

٥- **كفر النفاق:** قال تعالى عن المنافقين: **(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ)**[٦٦].

<u>النوع الثاني: الكفر الأصغر</u>: وهو الذي لا يخرج الإنسان من الملة، وهو الكفر العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى **(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ**

---

٦٢ الآية ٦٨ سورة العنكبوت

٦٣ الآية ٣٤ سورة البقرة

٦٤ الآية ٣٥ و ٣٦ سورة الكهف

٦٥ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ. الآية ٣ سورة الأحقاف

٦٦ الآية ٣ سورة المنافقون

آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ)[٦٧]، ومثاله أيضاً، ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: **"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"**[٦٨].

وقد قال الإمام الطحاوي: ولا نكفّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلّه، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عَمِلَهُ.

النّفاق:

ومعناه في الشريعة **إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشرك**، وسمي بذلك لأنه يُدخل في الشرع من باب ويُخرج من باب آخر، وعلى ذلك نبّه تعالى بقوله **(إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**[٦٩].

أنواع النفاق: النفاق نوعان:

النوع الأول: النفاق الاعتقادي، وهو (النفاق الأكبر) الذي يُظهر صاحبه الإسلام ويُبطن الكفر، وهذا مُخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار. وهذا النفاق على خمسة أوجه:

١- **تكذيب الرسول** صلى الله عليه وسلم.

---

٦٧ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ. الآية ١١٢ سورة النحل

٦٨ متفق عليه

٦٩ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. الآية ٦٧ سورة التوبة

٢- تكذيب **بعض ما جاء به الرسول** صلى الله عليه وسلم.

٣- بُغض الرسول صلى الله عليه وسلم أو بُغض بعض ما جاء به.

٤- المسرّة بانخفاض دين الإسلام.

٥- الكراهية لانتصار الدين وأهله.

وموقفنا من المنافقين هو موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم في مجتمع المدينة، حيث ائتمن سيدنا حذيفة بن اليمان على أسمائهم، ولم يأمره بفضحهم والتشهير بهم.

النوع الثاني: النفاق العملي الأصغر، وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملّة، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر النفاق صار صاحبه منافقاً خالصاً. مثال على ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصلة منهن كانت فيه خَصلة من النفاق حتى يَدَعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"**[٧٠].

٧٠ البخاري

الشرك:

تعريفه: أن يجعل الإنسان لله تعالى ندّاً وقد خلقه. ومن لقي الله تعالى وهو مشرك، فإن الجنة حرام عليه، قال تعالى: **(إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)**[٧١].

والشرك أيضاً يُحبط العمل، قال تعالى: **(وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ، بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ)**[٧٢].

أنواع الشرك: الشرك نوعان، شرك أكبر وشرك أصغر.

النوع الأول: الشرك الأكبر: وهو أن يعتقد الإنسان بوجود إله أو واسطة بينه وبين الله عز وجل، كما هو الحال في المشركين الأوائل الذين يعبدون الأصنام، ويجعلونها واسطة فيما بينهم وبين الله تعالى، ويعتقدون فيها النفع والضر من دون الله: **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىَ)**[٧٣]، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: **" يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك**

---

٧١ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَابَنِيٓ إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ. الآية ٧٢ سورة المائدة

٧٢ الآية ٦٥ و ٦٦ سورة الزمر

٧٣ أَلاَ لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىَ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. الآية ٣ سورة الزمر

إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[٧٤].

النوع الثاني: الشرك الأصغر: وهو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله **"إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"**[٧٥].

الرياء:

هو أن يعمل الإنسان العمل من أعمال الخير لا يريد به وجه الله، وإنما يريد ثناء الناس ومدحهم، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه: **(وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ)**[٧٦].

ويدخل أيضاً في الشرك الأصغر شرك الألفاظ، كالحلف بغير الله إن لم يصاحبها اعتقاد، وشرك الأسباب، كالاعتماد على الأسباب ونسيان الله تعالى، كما في حالة أخذ الدواء في المرض، فإن الشافي الحقيقي هو الله تعالى **(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)**[٧٧].

---

٧٤ الترمذي، حديث حسن صحيح
٧٥ أحمد
٧٦ الآية ٥ سورة البينة
٧٧ الآية ٨٠ سورة الشعراء

اللادينيون:

أمّا ما يقال عن تزايد أعداد اللادينيين في دول العالم، وهم الذين لا يعتقدون بوجود إله، فهؤلاء نستشعر المسؤولية تجاههم، وندعو المسلمين للتواصل معهم والاهتمام بهم ومحاكاة فطرهم، عسى الله بأن يهديهم للإسلام وأن يكونوا مسلمين، ويكثّروا سواد الإسلام.

الباب الثاني: صفات الله عزّ وجلّ

ما يجب لله عزّ وجلّ من صفات:

تعريف الواجب: هو ما لا يُتصور في العقل عدمه.

يجب لله تعالى عشرون صفة: واحدة نفسية: وهي صفة الوجود. ويجب له خمس صفات سلبية: وهي القِدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية. ويجب له سبع صفاتِ معانٍ: وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام. ويجب له سبع صفات هي الصفات المعنوية وهي: كونه تعالى قديراً مريداً عليماً حياً سميعاً بصيراً متكلماً.

أولا: الصفة النفسية: وهي محصورة في **صفة الوجود** الواجبة للذات، وهي غير معللة بعلة، بمعنى أن لا مؤثر في وجوده تعالى، إذ هو يؤثر في الأشياء ولا يؤثر فيه شيء. وصفة الوجود التي نتحدث عنها تدل على ذات الله تعالى دون الشعور بوجود شيء آخر، وجود متعلق بذاته تعالى فقط، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله، بينما صفات أخرى قد تدل على ذات أخرى، أو قد يُلحظ معها أمر آخر، فصفة الكلام مثلاً تدل على ذات تتكلم.

فمعنى كونه تعالى **واجب الوجود:** أنه لا يجوز عليه العدم لا سابقاً ولا لاحقاً، ولا يمكن تخيل عدمه، فأنّى لعقل أن يتخيل هذا الكون من غير وجود خالقه، وأنّى لذي فطرة سليمة أن يتخيل هذا الوجود من غير موجد، فإنك إن أردت بناء بيت هل يخطر ببالك أن يوجِدَ البيتُ نفسه دون أن يبنيه بان! فما بالكم بهذا الكون الذي أوجده الله بهذه الدقة وهذه الرتابة. إذاً أنت إذا رأيت مولوداً عرفت بعقلك ومنطقك أن علة وجود

هذا المولود هي النكاح أو اللقاح، ولولا النكاح لما كان هناك طفل موجود، هذا الموجود ثبت أن لوجوده علة، أما وجود الله تعالى فلا يحتاج إلى علة، لأنك بمعرفتك لا يمكن أن تتصور وجود موجود بغير علة، لأنه في عالم المحسوس لكل موجود علة، أما الذات العلية فهي غير محسوسة، ولا تخضع لقانون ومنطق الأشياء والمحسوسات، بل إن الله عزّ وجلّ هو خالق الأشياء والمحسوسات، وهذا هو الفرق بين وجود الله الذي لا يحتاج إلى علة، ووجود مخلوقاته التي تحتاج إلى علة وسبب.

وهذا ما نقرؤه في أورادنا: "يا أولاً من غير بداية إذ البداية بالعدم تسبق، ويا آخراً بلا نهاية إذ النهاية بالتحقيق تلحق"[٧٨]. قال تعالى: **(أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ)**[٧٩]. **(مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ)** هنا هي العلة لأنه لا خلق من غير علة، أما الخالق فلا علة لوجوده. **(ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)**[٨٠]

وجود الله لا تحويه الجهات:

وجود الله الذي تكلمنا عنه في الصفة النفسية ليس كوجود الخلق، فالله ليس جسماً، وليس له حدٌّ ومقدار، أي غاية ونهاية كالموجودات التي نراها، أي حدوداً وأبعاداً ينتهي إليها، لأن هذه صفات أجسام، فلا يستطيع مخلوق أن يدرك أو يتصور الله، وكل ما خطر في بالنا فالله تعالى بخلاف ذلك: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**[٨١]، **(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً)**[٨٢]

---

٧٨ ورد حزب السيف١ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

٧٩ الآية ٣٥ سورة الطور

٨٠ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. الآية ٦٢ الزمر.

٨١ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى

أي مشابهاً ومماثلاً. وصفة الوجود لله تعالى، اشتركت مع المخلوقات في اللفظ واختلفت في المعنى، فوجود المخلوق هو أخذه للحيّز في الفراغ إن كان جسماً، ووجود الله لا يجوز عليه الجسمية، ولا الحدّ، ولا المقدار، ولا أخذ الحيّز في الفراغ، ولا الخضوع لقانون الزمان والمكان.

فأهل السنة والجماعة، أجمعوا على أن الله لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، وما خالفهم على ذلك إلا المجسّمة والمشبّهة.

أما بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة، والتي يتوهّم منها بعض الناس، إثبات المكان لله تعالى أو جريُ الزمان، فلا يراد منها ذلك، وقد أخطأ من ظنّ أن الله تعالى (بذاته) في كل مكان مثلاً، أو أنه في السماء دون الأرض، أو أنه في الأرض دون السماء، فهو قولٌ باطلٌ، لأن هذه جميعها أمكنة، والله منزه عن المكان.

فإذا تأمّلنا في الآيات والأحاديث الصحيحة وجدنا أن كل نصٍ قد يُفهم منه أن الله تعالى في السماء مثلاً، يقابله نص آخر قد يفهم منه عكس ذلك، وهو أنه في الأرض مثلاً، أو أنه بذاته في كل مكان، وهذا كله غير صحيح لتنزه الله عن الزمان والمكان.

لاحظوا الآيات التي قد يفهم منها أنه تعالى في السماء: **(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)**[٨٣]، **(تَعْرُجُ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ)**[٨٤]، **(ءَأَمِنتُمْ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ)**[٨٥]. هذه الآيات تقابلها

---

٨٢ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً. الآية ٦٥ سورة مريم

٨٣ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. الآية ٥٥ سورة آل عمران

٨٤ تَعْرُجُ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. الآية ٤ سورة المعارج

٨٥ ءَأَمِنتُمْ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ. الآية ١٦ سورة الملك

آيات تفيد بما قد يفهم منه أنه في أمكنة أخرى، قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: **(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ)**[٨٦] مع أن سيدنا إبراهيم لم يترك قومه ولم يذهب إلى السماء، وإنما ذلك مجازاً. ثم لاحظوا ما يقوله تعالى عن الظل: **(ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً)**[٨٧] فهل يذهب الظل في الليل إلى الله؟

ثم تأملوا في قوله تعالى: **(وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)**[٨٨]، **(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لاَّ تُبْصِرُونَ)**[٨٩]، **(مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ)**[٩٠]، فماذا يقول الذين يزعمون أن الله في السماء، ويثبتون له المكان، ماذا يقولون عن هذه الآيات. وليس مرادنا إن قالوا هو في السماء أن نقول هو في الأرض أو في أي مكان، إنما قولنا أنه تعالى منزه عن الزمان والمكان، وأنه موجود، في كل ما ذكرته الآيات، بعلمه وقدرته وسمعه وبصره وتجلياته، وغير ذلك، وبالمعنى الذي أراد.

ثانيا: الصفات السلبية: ومعناها الصفات التي دلّت على **سلب كل ما لا يليق به سبحانه**، أي تسلب من الذهن أضدادها.

---

٨٦ الآية ٩٩ سورة الصافات

٨٧ الآية ٤٦ سورة الفرقان

٨٨ الآية ٣ سورة الأنعام

٨٩ الآية ٨٥ سورة الواقعة

٩٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. الآية ٧ سورة المجادلة

١- القِدَم: والمراد بالقدم هو **عدم أولية الوجود،** أو عدم افتتاح الوجود، أي أنه موجود قبل كل شيء، وأنه لم يكن معدوماً في وقت من الأوقات، وأن وجوده ليس له أول: **(هُوَ ٱلأَوَّلُ وَٱلآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**[٩١]، فهو ما نقرؤه في أورادنا: "أولٌ من غير بداية إذ البداية بالعدم تسبق"[٩٢]، فوجوده تعالى لم يُسبق بعدم كوجود الإنسان أو أي مخلوق آخر **"كان الله ولم يكن شيء غيره"**[٩٣]،، فإنك إن قلت هذا ثوبٌ قديم أو بيت قديم، فإنه مهما كان قديماً فإنه كان في العدم، ولا يليق هذا بالله عز وجل، كما **لا يليق فيه العدم** كالثوب والبيت وبقية المخلوقات.

٢- البقاء: ومعناه **عدم آخرية الوجود**، أي لا آخر لوجوده، **ولا يمكن أن يدركه العدم**، وهو ما نقرؤه أيضاً في أورادنا "يا آخراً بلا نهاية إذ النهاية بالتحقيق تلحق"[٩٤]، **فيستحيل العدم في حق الله: (وَلاَ تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**[٩٥]، **(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلاَلِ وَٱلإِكْرَامِ)**[٩٦]، كله إلى عدم إلا الله، كل من ثبت قدمه في الصفة الأولى استحال عدمه، وما من شيء يتصف بالقدم ويتصف بالبقاء إلا الله فهو أول بلا بداية وآخر بلا نهاية.

وثوبك الذي تلبسه قديم، نعم، ولكن له بداية وإنشاء، ومن المستحيل أن يبقى لأنه يفنى وله نهاية. وكذلك كل المخلوقات هالكة، أما القديم الباقي سبحانه، فهو مُهلك

---

٩١ الآية ٣ سورة الحديد
٩٢ من ورد حزب السيف١ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية
٩٣ البخاري والحاكم
٩٤ من ورد حزب السيف١ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية
٩٥ الآية ٨٨ سورة القصص
٩٦ الآية ٢٦ و٢٧ سورة الرحمن

الأشياء، حتى الزمان والمكان له بداية ونهاية، أما الله فهو خالق الزمان والمكان، وهو المبدئ والمعيد والقديم والباقي. وهو لا يشبه شيئاً في ذاته وصفاته التي تختلف عن كل الذوات والحوادث.

٣- مخالفته تعالى للحوادث: ومعنى هذه الصفة **أن كل ما سوى الله من مخلوقات وموجودات، هي حادثة ومخلوقة، وذات الله تعالى ليست مماثلة للحوادث بشيء**، ذات الله لا تشبه ذوات المخلوقات، وصفاته وأفعاله لا تشبه صفات وأفعال الحوادث: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**[٩٧]، فالإنسان في خلقه مثلاً مركبٌ من اللحم والعظم والدم والروح والجلد ...إلخ، وهو حادث ومحدد بزمان ومكان، له بداية وله نهاية، وله موجِد وله مُميت، وكذا بقية المخلوقات كلها حوادث، وهذا لا يليق بذات الله لأنها: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**، ولذلك قال العلماء: **"كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك"**. وعقلك مهما كا خارقاً فلن يدرك إلا المحسوس، والله ليس كذلك، ليس محسوساً، وصفاته ليست كصفاتنا، علمه أزلي، وعلمُنا حادث، خلقُنا يحتاج إلى خالق، نحن نحتاج إلى الخالق الذي يوجدنا، أما الله فهو غنيٌ عما سواه، والكل مفتقر إليه.

٤- قيامه تعالى بنفسه: ومعنى هذه الصفة **أن الله تعالى في غنى عما سواه**، ولا يحتاج إلى مكان ولا إلى موجد، وكلنا نفتقر إليه: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ**

---

٩٧ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى

هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ)[٩٨] ، فلو لم يستغن عن غيره لكان حادثاً، والله تعالى ليس بحادث. وهو الواحد في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله.

٥- **الوحدانية:** ومعناها **أن الله واحد لا ثاني له ولا شريك له ولا نظير ولا مماثل ولا ضد ولا معاند**، وهو ما عرف به ديننا الإسلامي، دين التوحيد الذي يدين بالتوحيد لله عز وجل، فهو واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله.

إذاً هو واحدٌ في ذاته، بمعنى لا يوجد إله إلا هو، ولا يوجد مثله شيء، وهذا ما عُرف عند علماء التوحيد بوحدة الذات. وصفاته تعالى لا تشبه صفات أحد، وهذه وحدة الصفات. وأفعالنا ليست كأفعاله، فأفعاله بإرادة واحدة وقدرة واحدة، يفعل ما يشاء، وهو ما يسمى بوحدة الأفعال. ونحن نقرأ في أورادنا: "وبوحدة الذات العلي ووصفها وبوحدة الأفعال يا مولائي، وبوحدة الأسماء الكثيرة خُصَّنا..."[٩٩].

الله تعالى هو الواحد الأحد الذي لا يشبهه شيء في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله **(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)**[١٠٠]. لا ضِدَّ له ولا شبيه له، لا والد ولا ولد له، ولا صاحبة له، فهو متوحد في ذاته، متفرد في صفاته، صمدٌ فردٌ، نقصده جميعاً في حوائجنا، ولا حاجة له عند أحد. يؤثر ويخلق الحوادث، ولا يؤثر فيه أحد، وتعالى سبحانه عن الشبيه والنظير، وهو معنا ولم يكن له كفواً أحد.

ثالثاً: صفات المعاني: وهي نفسها صفات الذات.

---

٩٨ الآية ١٥ سورة فاطر
٩٩ قصيدة الهمزة \ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية
١٠٠ سورة الإخلاص

والمعاني جمع معنى، وسميت بذلك لأن كل صفة منها تدل على معنى قائم بذاته، وسنرى ذلك في الشرح.

١- **القدرة:** وهي صفة أزلية أبدية قائمة بذاته سبحانه وتعالى، من خلالها نعتقد اعتقاداً جازماً، أنه **تعالى قادر على إيجاد كل ممكن، وقادر على إعدامه وإفنائه على وفق إرادته سبحانه**، والدليل النقلي على ذلك قوله تعالى **(أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ)**[١٠١]، ولو لم يكن الله قادراً لكان عاجزاً (تعالى الله عن ذلك)، والعاجز لا يخلق شيئاً، ولَما كان من هذه الكائنات التي نرى شيئاً. فلولا هذه القدرة الإلهية لما رأينا هذه المخلوقات على تنوعها، لأن الأصل فيها كلها العدم، أبدعها الله وأوجدها بإرادته وقدرته، ولو شاء لأوجدها بطريقة أخرى قد نتخيلها في خيالنا، كما في أفلام الخيال العلمي، لكنه أوجدها بالصفة التي نراها، لإظهار بديع خلقه وجمال مصنوعاته التي إذا أرادها قال لها: **(كن)** فكانت.

ولا أريد الخوض في خيالات حول القدرة، أبتعد فيها بكم عن جوهر القدرة، كبعض الخيالات الجدلية التي يفترضها بعض ضعاف النفوس في مسألة القدرة، كالذي يقول: هل يستطيع ربنا حمل مخلوقاته أو ما شابه ذلك! كيف لا والله تعالى خلق هذا الكون بأبعاده التي أدركناها، مع اكتشافات العلم وما لم ندركها، ويبقى العقل قاصراً عن تخيلها. أريد أن نبقى في إطار الفهم العقلي والنقلي الواضح، والمعتقد بأنه تعالى قادر على كل شيء.

---

١٠١ الآية ٤٠ سورة القيامة

٢- الإرادة: لفهم هذه الصفة، أولاً نسوق قوله تعالى: **(إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**[١٠٢].

الإرادة صفة أزلية أبدية قائمة بذاته سبحانه، وهي تخصيص القدرة بمعنى أن الله بقدرته خلق الموجودات، والله بإرادته خصَّ هذه الموجودات ببعض الصفات، التي تليق بها، وفق علمه تعالى الأزلي، من وجود وعدم وكيفية، لأنه تعالى فعّال لما يُريد. ولمزيد تعريف بهذه الصفة نقول: بأن مترادف لفظ الإرادة هي المشيئة: **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ)**[١٠٣].

فهذه الموجودات التي أبدعها الله تعالى جعل لها صفات مختلفة، فهذا أبيض وهذا أسود، وهذا طويل وهذا قصير، كان هذا بإرادته سبحانه وتعالى.

قال بعض العلماء: الإرادة غير الأمر، الأوامر هي طلبه تعالى من عباده أعمالا كالصلاة والزكاة والحج... إلخ، وهو أمر فيه اختيار، تجد من يلتزمه وتجد من لا يلتزمه، فلو كانت هذه الأوامر إرادة لما وجدنا من لا يلتزم.

ونلاحظ الفرق الذي يظهر المعنى بين هاتين الآيتين، قال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ)**[١٠٤]، فبعض الناس كان مع الصادقين، وبعضهم لم يلتزم هذا الأمر لأن الأمر هنا أمر تشريعي، يقبل به البعض ويأباه البعض الآخر.

---

١٠٢ الآية ٨٢ و ٨٣ سورة يس

١٠٣ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. الآية ٦٨ سورة القصص.

١٠٤ الآية ١١٩ سورة التوبة

أما الآية الثانية لبني إسرائيل: **(كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ)**[١٠٥]، هذا ليس أمراً تشريعياً، بل تكوينياً يعبر عن إرادة الله تعالى في حكم قصده، لذلك صاروا جميعاً قردة، ولم يتخلف منهم أحد.

ومن هنا نقول: الإرادة تختلف عن الأمر، وكلا الفريقين الأول والثاني لم يخرج عن إرادة الله، لا الطائع ولا العاصي.

٣- العلم: وجب لله تعالى أن **نعتقد فيه العلم. وهو صفة أزلية أبدية**، فكما أن الله قادر وله الإرادة في الواجبات والجائزات والمستحيلات، **فلديه سبحانه جميع المعلومات الإجمالية والتفصيلية عمن خلق**، وهو نوع من العلم يخالف علمنا الحادث: **(أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ)**[١٠٦]، ويقول تعالى: **(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)**[١٠٧]. **علمه واحدٌ لا يتعدد**، إنما التعدد يكون في المعلومات، وعلمنا مكتسب نكتسبه من غيرنا، أما علمه فهو أزلي قديم غير حادث، وعلمنا من علم الله، وعلم الله من ذاته: **(وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)**[١٠٨].

ونعني إحاطته تعالى بعلم الموجودات والجائزات والمستحيلات، أنه تعالى عَلِمَ أن الواجب موجود، والمستحيل يعلمه معدوماً، والجائز يعلم الموجود منه والمعدوم.

---

١٠٥ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ. الآية ٦٥ سورة البقرة. فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ. الآية ١٦٦ سورة الأعراف.

١٠٦ الآية ١٤ سورة الملك

١٠٧ ٱللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ. الآية ٢٥٥ سورة البقرة

١٠٨ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً. الآية ١١٠ سورة طه

٤- الحياة: صفة الحياة صفة واجبة لله تعالى قائمة بذاته، وهي صفة أزلية أبدية، إذ كيف يتصرف الله تعالى بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام ولا يتصف بالحياة! بل كيف يهب الحياة لمخلوقاته وهو ليس حياً، **فلو لم يكن حياً، لم يجز عقلاً أن يهب الحياة لمخلوقاته**، قال تعالى **(وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لاَ يَمُوتُ)**[١٠٩].

الله عز وجل وهب الحياة لكل مخلوقاته، والعلم اليوم احتار في كُنْه مخلوقات الله رغم كل ما توصل إليه. فكيف يمكن لنا أن نعرف كُنْه حياة الله تعالى؟ الذي نعتقده أن كل هذه المخلوقات جعل الله فيها حياة تليق بها، ونؤمن بحياة الله تعالى، وأنها ليست كحياتنا أو حياة شيء من مخلوقاته. نؤمن بها ونعلم أنه ليس كمثله شيء، له حياة بالكيفية التي علمها وأرادها.

٥- السمع: وهو **قوة تدرك بها الأصوات والمسموعات**، وهي مخالِفة لسمعنا، المخلوق الحادث الذي يحتاج إلى أدوات من أذن ومتعلقاتها في الرأس من طبلة ومركز في الدماغ، وإلى صوت يُسمِعُ، مع أدواته المختلفة، وهواء ناقل.

وهذه صفة أخرى واجبة لله تعالى، وهي صفة أزلية أبدية، ذكرها سبحانه في أكثر من موضع من كتابه **(يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً)**[١١٠]، والآية **(قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيۤ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**[١١١].

---

١٠٩ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً. الآية ٥٨ سورة الفرقان

١١٠ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً. الآية ٤٢ سورة مريم

١١١ الآية ١ سورة المجادلة

ولا نبحث أيضاً في كنه هذه الصفة وأدواتها، إنما هو سمع يليق بجلال الله وكماله، ونعتقده كما أراده الله لنفسه دون البحث في كيفيته.

٦- **البصر**: وهو أيضاً صفة أزلية أبدية، واجبة لله تعالى **تنكشف بها المبصرات**، وليست على ما هي عليه صفة الإبصار في المخلوقات، ولا تحتاج إلى أدوات البصر الموجودة في الإنسان مثل العين وملحقاتها، لأن صفاته تعالى ليست كصفات مخلوقاته، فليس بصره تعالى بآلة أو جارحة، لأنه لو كان كذلك لكان مثل المخلوقات، فهو **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**[١١٢]

٧- **الكلام**: وهو صفة واجبة لله تعالى، أزلية أبدية قائمة بذاته تعالى، **منزهٌ عن الحرف والصوت، وعن كل ما يشبه كلامنا**، يُبلِّغنا به الشرائع والأحكام. يقول تعالى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ ٱللَّهِ)**[١١٣]، وقال أيضا **(وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً)**[١١٤].

ونحن نعتقد أن القرآن كلام الله، لكنّا في الوقت نفسه، نعتقد أن صفات الله لا تشبه صفات المخلوقات، وأنه أنزل القرآن الذي هو كلامه بلغة ومفردات وتراكيب عربية، واللغة العربية حادثة كما هو الصوت والحروف، ولا يمكن لكلام الله أن يكون حادثاً، ولا

---

١١٢ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى

١١٣ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ. الآية ٦ سورة التوبة

١١٤ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً. الآية ١٦٤ سورة النساء

يمكن للحادث أن يكون صفة لله تعالى، فكلام الله ليس ككلامنا، أنزل الله إلينا القرآن بلغة تناسب فهمنا وإدراكنا، فالكلام صفة واجبة لله بالكيفية التي عناها وأرادها، ويكفي أن نسلّم بذلك.

رابعا: الصفات المعنوية: قديرٌ، مريدٌ، عليمٌ، حيٌّ، سميعٌ، بصيرٌ، متكلمٌ.

إن الصفات المعنوية هي نتائج صفات المعاني الواردة في البند السابق، وهي صفات الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وإذا تأملنا صفات المعاني هذه نجدها تقتضي أن له تعالى في صفات المعاني صفة القدرة، وفي الصفات المعنوية صفة القادر، فطالما أن له القدرة فهو تعالى قادر: **(قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ)**[١١٥]، فبيده القدرة على الفعل وترك الفعل.

والله تعالى له الإرادة في صفات المعاني، فهو مريد في المعنوية **(إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)**[١١٦].

والله تعالى له العلم في صفات المعاني، فهو عليم في المعنوية: **(وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**[١١٧].

---

١١٥ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ. الآية ٦٥ سورة الأنعام

١١٦ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. الآية ١٤ سورة الحج

١١٧ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ

والله تعالى له صفة الحياة بالوصف الذي ذكرنا في صفات المعاني، فهو حيٌّ في المعنوية: **(ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ)**[118].

والله تعالى له صفة السمع في صفات المعاني، فيقتضي ذلك أن له صفة السميع في المعنوية: **(وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً)**[119].

والله تعالى له صفة البصر في صفات المعاني، فيقتضي ذلك أنه تعالى بصير في المعنوية: **(إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**[120].

ومن الصفات الواجبة لله تعالى في صفات المعاني صفة الكلام، ويقتضي ذلك في الصفات المعنوية أن له صفة (متكلم) بالوصف الذي ذكرنا: **(وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً)**[121].

إذاً، الصفات المعنوية هي إثبات لصفات المعاني.

يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلأُخْرَىٰ وَلاَ يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوٓاْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. الآية ٢٨٢ سورة البقرة

١١٨ ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ. الآية ٢٥٥ سورة البقرة. والآية ٢ سورة آل عمران

١١٩ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً. الآية ١٣٤ سورة النساء

١٢٠ سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١ سورة الإسراء

١٢١ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً. الآية ١٦٤ سورة النساء

رد بعض الشبهات، وبعض الملاحظات على الصفات:

قد تبرز لدينا بعض المسائل المهمة، التي لا بد من الإشارة إليها، حتى لا نقع في منزلقات وأوحال تمس التوحيد، كالتشبيه والتمثيل والاعتقاد في الله بما لا يليق بجلاله. وعندنا في صلوات سيدنا الدردير[١٢٢] عبارة أسيء فهمها وظنّ البعض به الظنون بقوله في دعائه: (وانشلني من أوحال التوحيد)، وللأسف أسيء فهمه، حيث أنه يقصد هذه المنزلقات والأوحال التي تمس عقيدة التوحيد، كإثبات الجهة والمكان له سبحانه وتعالى، وكل ما يمس التنزيه من رياء، ونفاق، وشرك، وتشبيه، وتمثيل، وتعطيل، وتوجه لغير الله، وإشراك بالله، وسؤال غير الله، هذه هي أوحال التوحيد التي عناها شيخنا، والذي برع في الكتابة في علم الاعتقاد، وكان من أبرز علماء عصره في هذا المجال. وللأسف فإن الذين يُسيئون لشيخنا لم يقرءوا بقية الدعاء إذ يقول (وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها).

من صفات الله مخالفتها لكل صفات المخلوقات: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**[١٢٣]، فهو في صفاته وأفعاله ليس كأي شيء خلقه، إذ المخلوقات جميعها لها صورة وجسم، ولها مكان وزمان، وقد وردت آيات في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إذا قُرِئت فُهم من ظاهرها نوع من الشبه بين الله وبين مخلوقاته، من ذلك قوله تعالى:

---

١٢٢ هو الشيخ أحمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، شيخ الرواق بالأزهر، وشيخ أهل مصر بأسرها في وقته، حِسّاً ومعنى.

١٢٣ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى

(ءَأَمِنتُمْ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)[١٢٤] مما يوحي في ظاهر المعنى أن الله في السماء، والسماء حادثة، والمعنى بهذه الصورة وهذا الوصف مستحيل في حق الله تعالى، لأنه تعالى تقدس عن الزمان والمكان والجهة.

ومثال آخر على هذا الإشكال يَرِدُ في قوله صلى الله عليه وسلم: (**ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**).[١٢٥] فقد يفهم من هذا الحديث أن الله تعالى في مكان في السماوات فينزل إلى سماء الدنيا، والمعنى أيضاً بهذا الوصف مستحيل في حق الله تعالى، وبما أن الله تعالى قال: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**[١٢٦]، والقرآن لا تعارض بين آياته، فإن علماء التوحيد، وللخروج من هذا التعارض ودفعه، قالوا بوجوب تأويل المعاني أو تفويضها في حالة التشابه، وهو ما يدفع التعارض بين الأدلة الشرعية.

والمعلوم أن آيات الله في كتابه فيها المحكم وفيها المتشابه: **(هُوَ ٱلَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ)**[١٢٧].

---

١٢٤ الآية ١٦ سورة الملك

١٢٥ البخاري ومسلم

١٢٦ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. الآية ١١ سورة الشورى

١٢٧ الآية ٧ سورة آل عمران

ولعلماء التوحيد في دفع التعارض بين المتشابهات طريقتان: **الأولى التفويض**، وأصحابها العلماء الأوائل من صحابة وتابعين، والأئمة الأربعة، وغيرهم، قالوا: ظاهر الآيات المتشابهة هي على غير مراد الله، والله أعلم بمراده، فقالوا: **نحن نفوض معناها** إلى الله تعالى، فهو بالفوقية التي عناها، ونزوله نزول لا نعرف كنهه، يليق بجماله وجلاله، وكذلك في بقية الآيات المتشابهة.

الطريقة الثانية: التأويل، وهي لمن جاء بعدهم، وهم الذين يقولون بأن ظاهر هذه الآيات على غير مراد الله، وأوّلوا الآيات بمعاني لا تفيد التشبيه، فقالوا: هو في السماء بفوقية هو أعلم بها، ونحن لا ندرك كنهها لكنها تعني التعالي في عظمته، وهكذا جرى تأويل كل النصوص المتشابهة، وهي كثيرة لا أريد الخوض فيها...

لكني أقول: دفع العلماء التعارض بين الأدلة بالتفويض والتأويل، وأسأل الله ألا يجعلنا ممن في قلوبهم مرض من الذين يبتغون الفتنة، ولا ممن شبهوا ومثلوا وجعلوا لله يداً كاليد وعيناً كالعين، حتى أن أحدهم قال عن نزول الله إلى السماء الدنيا ينزل كما أنزل عن منبري هذا، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ونحن نفوض حيث يلزم التفويض، ونؤوّل حيث يلزم التأويل.

فيما يستحيل في حقه تعالى:

تعريف المستحيل: ما لا يُتصور في العقل وجوده.

يستحيل في حق الله تعالى أضداد الصفات الواجبة لله تعالى التي ذكرناها سابقاً، **فضد الوجود العدم، وضد القدم الحدوث، وضد البقاء الفناء، وضد مخالفته الحوادث مشابهته لها، وضد قيامه تعالى بنفسه افتقاره لغيره، وضد الوحدانية التعدد في الذات أو**

الصفات أو الأفعال، وضد القدرة العجز، وضد الإرادة الكراهية، وضد **العلم الجهل، وضد الحياة الموت، وضد السمع الصمم، وضد البصر العمى، وضد الكلام الخرس. هذه الصفات كلها مستحيلة على الله، لأنها صفات نقص، والله تعالى لا يليق به إلا الكمال.**

الجائز في حق الله تعالى:

تعريف الجائز: هو ما يتصور في العقل وجوده أو عدمه.

يجوز في حق الله تعالى فعل كل ممكن أو تركه، كإيجاد الأشياء وإعدامها، وإن كان مستبعداً لم تجر به العادة، **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ)**[١٢٨]، **(أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ)**[١٢٩]، **(وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)**[١٣٠]، ولا يجب على الله شيء إلا ما أوجبه على نفسه، فقد يخرق الله تعالى العادة معجزة لرسول، كانشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم، أو كرامة لوليٍّ صالح فيظهر خارق عادة على يده تأييداً منه تعالى له وإكراماً، كما حصل مع الفاروق في قصته مع سارية بن حصن، أو إعانة لعامة المسلمين باجتماعهم ودعائهم، كما في الاستسقاء، أو استدراجاً لفاسق، فيظهر خارق عادة على يده وفق مراده، كما سيكون في فتنة الدجال، أو إهانة لفاسق، فيظهر خارق عادة على يده على غير مراده إهانة له، كما حصل لمسيلمة الكذاب، حين سمع أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بصق في بئر

---

١٢٨ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. الآية ٦٨ سورة القصص

١٢٩ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ. الآية ٥٤ سورة الأعراف

١٣٠ وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً. الآية ٤٩ سورة الكهف

ففارت، فبصق هو في بئر فجفت البئر وغارت، يفعل الله ذلك ليشعر الناس بقدرته عز وجلّ.

ثم إنه تعالى يدافعُ عن الذين آمنوا، ويحفظُ لأوليائه قدرهم بين الناس: **(أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)**[١٣١]، فالوليُّ محفوظ أواب، خائفٌ من الخاتمة، لا يشاهد الوحي ولا ينزل عليه، أما النبيُّ فهو معصوم يشاهد الوحي وينزل عليه. ولا يبلغ الوليُّ درجة الأنبياء، لأن النبوة لا تكون مكتسبة بل اختصاص من الله يهبه لمن يشاء من عباده، أما الولاية في مجملها فتكون بالجدّ والاجتهاد، والدأب على مخالفة النفس، والتربية والإعداد.

ما نعتقده بإيجاز في قضية خلق القرآن:

قضية خلق القرآن فتنة ابتلي بها المجتمع المسلم في مرحلة من مراحله، فمن قائل أن القرآن كلام الله تعالى، إلى قائل بأن القرآن حادث مخلوق. والذي نعتقده، بإيجاز ودون الخوض في التفاصيل التي لا حاجة لنا بها، نقول: أن كلام الله القديم هو المعنى القائم بذاته عز وجل، وأما الألفاظ والحروف فليست قديمة لأنها لغة العرب، ونزل القرآن بها بما يناسب العقل العربي. ونقول بعدم الخوض في هذه المسألة، ونكتفي بالقول أن "القرآن كلام الله" من غير تفصيل.

---

١٣١ الآية ٦٢ و٦٣ سورة يونس

الإيمان بالقضاء والقدر:

حديثنا عن الإيمان بالقضاء والقدر سيكون مجملاً لا مفصلاً، لأننا نمتثل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: **"إذا ذكر القدر فأمسكوا"**[١٣٢]. لذلك سنتكلم في بعض العناوين.

الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة، لما ورد حديث في جبريل عليه السلام لما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: **"الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كله، خيره وشره"**[١٣٣].

وعقيدة أهل السنة والجماعة: **أنّ القدر معناه إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأفعالها وأحوالها وفق ما سبق به العلم**، بمعنى أن الله بعلمه الأزلي علم الأشياء ومقاديرها وأزمانها قبل أن يخلقها، ثم خلق (قدراً) ما سبق في علمه أنه يوجد **(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)**[١٣٤]، فوجود الأشياء والحوادث (قضاءً) لم يكن مصادفة بل وفق علمه السابق.

أما **القضاء فهو إيجاد الله الأشياء، وهي في غاية الإحكام والإتقان.**

أما **الأشاعرة فقالوا: إن القدر حادث والقضاء قديم**. والاختلاف محتمل، والخطب فيه يسير.

---

١٣٢ الطبراني في الكبير
١٣٣ مسلم
١٣٤ الآية ٤٩ سورة القمر

هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟

إن الأحداث التي يعيشها الإنسان تنطوي على حالين اثنين: **الأول**، الإنسان فيه **مسير** لا قدرة له فيه ولا فعل، كانتمائه لبلده المعين أو عشيرته أو أبيه أو أمه أو إخوته، وما يتعلق بشكله وأوان مجيئه إلى الدنيا، إلى آخر الأحداث التي لا قدرة له على التحكم بها، وهذه المسائل هو مسيّر فيها، ولا يحاسب بالتالي عليها. **أما الثاني** من الأحداث فهو فيها **مخير**، فإن اختار الخير أثيب عليه، وإن اختار الشرَّ عوقب عليه، وأيا كان اختياره فإن الله تعالى علم في سابق علمه ماذا سيختار، الخير أم الشرّ. وهذا من قدرة الله في خلقه وعلمه الأزلي بما كان وما هو كائن وما سيكون.

فالذي يصلي لله صادقاً، هو لم يطلع على سابق علم الله فقام يصلي، بل الإيمان بالله ومعرفة أحكام الله دفعته وجدانياً وعقلياً فاختار الطاعة، فكان له الأجر، وعكسه من أعرض ونأى بجانبه، هو اختار العصيان دون اطلاع على سابق علم الله. وكثير من المجادلين عندما يُصيبهم الشرّ يعلقونه على القضاء والقدر، وعندما يُصرّون على المعاصي، يعلقونها على القضاء والقدر، بحجّة أنهم مسيّرون لا مخيّرون، ولكن لماذا في جوانب الشرِّ فقط يفطنون للقضاء والقدر؟ لماذا لا يفطنون له في جوانب الخير والنعم التي أسداها الله إليهم؟ ولو تمثلنا حال شابٍّ من أسرة غنية، في بحبوحة من العيش لا ينقصها شيء، ثم هو لا يصلي ويقول: "لم ينادني الله لطاعته، وأنا مسير في ذلك". لماذا لا يسأل نفسه، لو خير بين أبيه الغنيّ أو أن يكون في أسرة فقيرة معدمة! هل سيختار، أم سيقول أنا مسير! ولو سُيِّر قسراً لعتب على القضاء والقدر، ولو مرض لعتب على القدر دون أن يذكر ما ساقه له القدر من الغنى والصحة والعافية والتوفيق والذرية والزوجة

ووسائل الراحة كلها، هذه لا ينسبها للقدر، ولكن ينسب للقدر فقط جوانب الشرِّ والتقصير.

وأسوق مثالاً آخر، إنَّ الأب له معرفة بأحوال ولده، ومن خبرته باختيارات ولده، يخمن ويتوقع مثلاً أن ولده سيسقط في امتحان الدراسة ولن يتوفق، وذلك لمعرفته بكسل ولده وتلهيه بالأشياء التي تحول دون نجاحه، وقبل الامتحان قال لولده: "والله لن تفلح أبداً"، هل اطلع الأب على القدر حتى قال هذا؟ أم أنه خمَّن ضمن معطيات حقيقية بالنتيجة؟! وهل من حق الولد أن يعاتب أباه بعد فشله قائلاً له: لماذا تؤاخذني وأنت تعلم أني راسب؟! ولله المثل الأعلى، وهو تعالى عن الخطأ والتخمين، بل هو عِلم أزليّ من خلاله يعلم المولى ماذا سيختار العبد، كما عَلِمَ ذاك الأب من خبرته في ولده أنه لن يفلح، مع فارق أن الله علم علماً، وأن الأب خمَّن تخميناً، فهل هذا الشاب مسيّر في نجاحه أم هو مخيّر؟ ألم يكن يعلم أن الإعراض عن الكتب سيؤدي إلى الفشل في الدراسة؟ وهل إذا أقبل على الدراسة ونجح فهو مُسيَّر؟ ألم يختر النجاح بإرادته وفعله؟ والفاشل ألم يختر الفشل بإرادته وفعله؟

ثم لو افترضنا شخصاً آخر يتبرم من الظلم في الحياة، ويتهم القدر بظلمه، فهل الله ظالم؟ نقول: لا يقابل صفة العدل في الله الظلم، بل يقابل عدل الله فضل الله، والظلم لا يُتَصور أصلاً في حقه تعالى، لأنه مستحيل عقلي **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ)**[١٣٥]، لأن الظلم معناه التصرف في ملك الغير بدون إذن مالكه، ولا ملك لغير الله تعالى في دنيانا، بل ولا في أخرانا، ولا شريك لله في خلقه.

---

١٣٥ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ. الآية ٤٦ سورة فصلت

نقول أيضاً أنَّ علم الله منذ الأزل يحيط بكل المخلوقات وبكل تفاصيلها، ومثبت في اللوح المحفوظ: **(يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥ أُمُّ ٱلْكِتَابِ)**[١٣٦].

والقضاء والقدر، كما قلنا، خَلَقَ الله كل شيء وقدره منذ القدم، ثم أبرزه للوجود في الوقت المخصص له، ولذلك في أورادنا نقول في صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "على أول من برز للوجود من أنوارك الذاتية"[١٣٧]، كان قدراً ثم قُدّر له الظهور والوجود فصار قضاءً.

ولذلك يستحيل أن يحاسب الله عبده على أمر قبل خلقه، أو على فعل قبل إيجاده، أو على معصية قبل وقوعها، لأنه أوجد في الإنسان القدرة على الاختيار بين الخير والشر، وأمره بالتزام الخير واجتناب الشرّ: **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)**[١٣٨] **(وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ)**[١٣٩]، فلا شأن للقدر بمعاصيك، إنما هو اختيارك الذي اطلع عليه الله في سابق علمه، مثلما اطلع الأب على فشل ولده لدرايته بسوء اختياره، ولا يحق للولد أن يقول لأبيه: فشلي سبق في علم الله فلا تلومني، بل من حق أبيه أن يقول: أنت الذي اخترت الفشل، وسرت في دربه. وما ينطبق على هذا الشاب ينطبق عل المجرم القاتل إذ ليس من حقه أن يقول: "إن الله قدّر لهذا المقتول عمراً، وقد انتهى عمره، فلا أحاسب على قتله"، هذا كلام في الشرّ يريد أن يفلت فيه من العقوبة، وكان

---

١٣٦ الآية ٣٩ سورة الرعد
١٣٧ من ورد الدرة الشريفة١ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية
١٣٨ الآية ٣ سورة الإنسان
١٣٩ الآية ١٠ سورة البلد

له أن يختار الخير بدلاً من أن يختار الشرّ، ولو سادت هذه المفاهيم المغلوطة لفسدت الأرض.

الباب الثالث: النبوات

الإيمان بالأنبياء والرسل هو أحد أركان الإيمان الستة، وفيه بحث تفصيلي، وفيه بيان ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

أرسل الله تعالى الرسل إلى خلقه، حيث أقام الحجة على المكلفين من الثقلين بالآيات البينات، قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ)**[١٤٠]، وقال تعالى: **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً)**[١٤١]، وقال تعالى: **(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ)**[١٤٢].

والنبيّ: هو الرجل الذي أوحى إليه الله تعالى بشريعة، ولم يؤمر بتبليغها، فإن أمر بتبليغها فهو نبيٌّ رسول.

والأنبياء الذين أوحى الله إليهم كثر، لا يعلم عددهم إلا هو، أما الذين ذكرهم القرآن الكريم فكلهم أنبياء ورسل، وعددهم خمسة وعشرون رسولاً، أرسلهم الله للبشر ليدلّوهم على الله، ولما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وهو فضل ونعمة من الله، ودليلٌ على

---

١٤٠ الآية ١٣٤ سورة طه

١٤١ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً. الآية ١٥ سورة الإسراء

١٤٢ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً. الآية ١٦٥ سورة النساء

رحمة الله بالخلق، الذي تفضل عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى **(وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ)**[١٤٣].

ومن خلال الرسل عرف البشر نظاماً تربوياً، واجتماعياً، وقضائياً، واقتصادياً، وتشريعياً، وتعبدياً، يتناسب ويتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بخلاف كل الأنظمة الوضعية التي أضرت بالإنسان في بُعده العقدي، والأخلاقي، والوجداني، والاقتصادي، والاجتماعي، فعندما يلتزم الإنسان منهج الرسل فهو بذلك يهتدي إلى الله الذي خلقه، ويهتدي إلى عوالم لا يقوى عقله المحدود على الوصول إليها، ونحن نقول في أورادنا: "إلهي دُلَّني على من يدلني عليك، وأوصلني يا مولاي إلى من يوصلني إليك"، "اللهم رقق حجاب بشريتي بلطائف إسعافٍ من عندك، لأشهد ما انطوت عليه من عجائب قدسك"، وفي الجملة التي تليها "إلهي رَدّني برداءٍ من عندك حتى أحتجب به عن وصول أيدي الأعداء إليّ"[١٤٤]، وفيها معنى طلب الحماية من الله، من وصول المضلّين الذين يبعدون العبد عن معرفة الله، ويدلّونه على طواغيتَ تؤلّه غير الله.

الصفات الواجبة للأنبياء والرسل:

أربع صفات تجب في حقهم هي الأمانة، والصدق، والتبليغ، والفطانة.

١- الأمانة: وتعني العصمة، وهي ملكة نفسية وهبها الله للنبيّ الرسول، تمنع صاحبها من الفجور، فتكون بذلك الأمانة هي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من قبلُ ومن بعدُ، من التلبس بمنهي عنه، ولو نَهْي كراهة أو خلاف الأولى.

---

١٤٣ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ. الآية ١٨ سورة النحل

١٤٤ من ورد السحر ١ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

٢- الصدق: أي أنه واجب في حقهم، وهو مطابقة خبرهم للواقع، وعكسه الكذب، وكيف لا يكون صادقاً وهو مبلغٌ عن الله، قال تعالى: **(وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ)**[١٤٥]، وفي الحديث القدسي: **"صدق عبدي في كل ما يبلغ عني)**[١٤٦].

٣- التبليغ: فهم مُبلّغون عن الله فيما أمر ونهى، قال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ)**[١٤٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من سُئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار"**[١٤٨].

هناك أمور تَكَتَّم عليها الأنبياء مما لا تحتمله عقول البشر، كالأمور الغيبية التي قد تؤدي إلى فتنة الناس، كما حصل في حادثة الإسراء والمعراج. وفي هذا المعنى قول لسيدنا علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله)، قال الحافظ: وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة، ومثله قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً، لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[١٤٩]. وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: (إن ههنا علماً لو

---

١٤٥ وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً. الآية ٢٢ سورة الأحزاب

١٤٦ شرح جوهرة التوحيد للباجوري

١٤٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ. الآية ٦٧ سورة المائدة

١٤٨ أبو داود

١٤٩ مسلم

وجدت له حملته!). وقال الشافعي رحمه الله: (أأنثر درراً بين سارحة النعم، أأنظم منثوراً لراعية الغنم).

٤- الفطانة: تجب لهم عليهم الصلاة والسلام صفة الفطانة، وهي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم، ولا يمكن ذلك إلا بالفطنة، وقد قال الله تعالى: **(وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ)**[١٥٠]، وقال أيضاً: **(قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ)**[١٥١].

ومن الشروط التي بيّنها الشرع في الأنبياء والرسل: الحرية، والذكورة، وكمال العقل، والسلامة من كل ما ينفر الناس من مرض وغيره. ويشار هنا إلى أن الأنبياء كانوا من أهل الحواضر والمدن، ولم يكونوا من البوادي.

المستحيلات في حق الأنبياء والرسل:

يستحيل عليهم عكس كل الصفات الواجبة لهم، فتستحيل: الخيانة، والكذب، والبلاهة، وكتمان ما أمروا بتبليغه، والجنون، والسهو في التبليغ، والزِق، والأمراض المنفرة. وما قيل في حق نبيّ الله أيوب، من مرض وابتلاءٍ فله تأويل أنَّ المرض كان بين الجلد والعظم، وأنه لم يكن منفراً. أما ما ذكر عن عمى سيدنا يعقوب فلم يعمى نهائياً، وإنما ضعفت الرؤية عنده بسبب استمرار الدمع مع الدمع. ولا صحة لما قيل عن عمى سيدنا شعيب.

---

١٥٠ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. الآية ٨٣ سورة الأنعام

١٥١ الآية ٣٢ سورة هود

الجائز في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام، وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالأكل، والشرب، والنكاح، والمرض غير المنفر، والجوع، والفقر، والغنى، وأذية الخلق لهم، والسَّهو في الأفعال الشرعية كالصلاة، والنوم لأعينهم لا لقلوبهم.

وقد ردَّ الله تعالى على المشركين، طلبهم أن يرسل عليهم رسلاً لا يأكلون ولا يمشون في الأسواق ولا يتزوجون بقوله: **(وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً)**[١٥٢]، ورد عليهم في موضع آخر: **(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً)**[١٥٣].

أما الحكمة من وقوع المرض والجزع وأذية الخلق لهم مع أنهم أصفياء الله تعالى، أنهم بذلك تزداد مراتبهم العلية علواً، ويتسلى بهم المؤمنون عن مصائب الدنيا، وينتبهون إلى خسة قدرها عند الله تعالى، فلو كانت عند الله ذات قيمة لأعطاها لهؤلاء، وهم أشرف الخلق عنده.

الرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم تفصيلاً:

ساداتنا: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، لوط، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان، أيوب، ذو الكفل، يونس، إلياس، اليسع، زكريا، يحيى، عيسى، محمد صلى الله عليه وعليهم وعلى سائر الأنبياء

---

١٥٢ الآية ٧ سورة الفرقان

١٥٣ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً. الآية ٩٣ سورة الإسراء

والمرسلين، من قصَّهم ربنا علينا ومن لم يقصصهم، وألحقنا بهم جميعاً غير خزايا ولا مفتونين.

الأنبياء والرسل:

نؤمن ونعتقد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم، هو أفضل الخلق على الإطلاق. وفي الرد على من يحتج بقول الله: **(لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ)**[١٥٤]، وبقوله صلى الله عليه وسلم: **"لا تفضلوني على الأنبياء"**[١٥٥]، أن ذلك محمولٌ على تفضيل يؤدي إلى تنقيص غيره من الأنبياء، ومحمول أيضاً على أننا لا نفرق بين الرسل في كونهم كلهم من عند الله، ونؤمن بهم جميعاً، وأنهم أصحاب رسالة واحدة جاءت لهداية البشرية.

والرسل متفاضلون فيما بينهم لقوله تعالى: **(تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)**[١٥٦]، وأفضلهم نبينا صلى الله عليه وسلم، ليس ذلك تجاوزاً، بل لأن الرسل كانوا يرسلون إلى أقوامهم فقط، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أرسل إلى الثقلين جميعاً من إنس وجنّ حتى نهاية الزمان، ويبقى القرآن وتبقى نبوته صلى الله عليه وسلم محفوظة بأمر الله حتى يأتي أمر الله، وهو ما لم يكن لغيره من الرسل، وقد قال صلى الله عليه وسلم **"أنا سيد**

---

١٥٤ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ. الآية ٢٨٥ سورة البقرة

١٥٥ متفق عليه

١٥٦ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. الآية ٢٥٣ سورة البقرة

ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع"[١٥٧]، كما أشار الله تعالى لهذه الأفضلية: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)**[١٥٨].

كما نعتقد جازمين بأن أولي العزم من الرسل، هم في المرتبة التي تلي نبينا صلى الله عليه وسلم في القدر والمنزلة، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم يليهم بقية الرسل، ثم الملائكة وأفضلهم جبريل وإسرافيل، ثم أولياء أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما نعتقد أن الله قد أيّد رسله بالمعجزات التي هي خوارق العادات، كانشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم، (ملاحظة: أظهرت الصور الحديثة للقمر والتي التقطها علماء الفضاء قبل سنين أظهرت شقاً في وسط القمر لا زال ظاهراً حتى يومنا هذا، وصدق الله إذ يقول: **(ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ)**[١٥٩]، وكمعجزة إحياء الموتى لسيدنا عيسى، وعدم احتراق سيدنا إبراهيم عندما قذف في النار.

كما نعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين: **(وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ)**[١٦٠] فلا نبيَّ بعده صلى الله عليه وسلم، ومن ادعى النبوة بعده

---

١٥٧ مسلم وأبو داود

١٥٨ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ. الآية ١٠٠ آل عمران

١٥٩ الآية ١ سورة القمر

١٦٠ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً. الآية ٤٠ سورة الأحزاب

فهو كاذب، وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة وإلى الجن والملائكة: **(وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)**[١٦١] .

كما نعتقد أن الشريعة الإسلامية ناسخة لما قبلها من الشرائع، وأن كل ما جاء في الشرائع السابقة، وكان مخالفاً لشريعتنا فهو منسوخ لا يجوز العمل به. وما كان موافقاً لشريعتنا نعمل به لأنه يوافق شريعتنا فقط.

كما نعتقد بمعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها، وفي مقدمتها القرآن الكريم وما فيه من الإعجاز القديم والقادم، حيث ما زال العلم يكتشف في كل يوم إعجاز هذا القرآن.

كما نعتقد بمعجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ثم من بيت المقدس معراجاً إلى السماوات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى، وأن الإسراء والمعراج كانتا يقظة بروحه وجسده لا مناماً، وإلا لما كان معجزة.

كما نعتقد أن صحابته صلى الله عليه وسلم، هم خير القرون من قبل ومن بعد، ما خلا الأنبياء والرسل: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)**[١٦٢] ، وقد ورد في الحديث: **"إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين"**[١٦٣] ، ونرجح رتبة من لازمه وهاجر وقاتل معه وقتل تحت رايته، ثم يأتي بالأفضلية من بعدهم **التابعون** لحديث رسول

---

١٦١ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ. الآية ٢٨ سورة سبأ
١٦٢ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ. الآية ١٠٠ آل عمران
١٦٣ البزار

الله صلى الله عليه وسلم: **"خير الناس قرني ثم الذين يلونهم"**[١٦٤]، والتابعي هو من اجتمع بالصحابي اجتماعاً متعارفاً.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، رضوان الله عليهم جميعاً، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك"**[١٦٥]، ويليهم في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة، ثم يليهم أهل بدر ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: **"وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة"**[١٦٦]، ويليهم أهل أحدٍ سبعمائة صحابي، ثم أهل بيعة الرضوان، لقوله تعالى: **(لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً)**[١٦٧]، وأفضل التابعين سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وأويس القرني، وبعضهم رجح أويس لما ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: **"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس"**[١٦٨].

كما نعتقد في مسائل الفقه والاعتقاد، أن غير المتخصص لا يستطيع استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وبما أن العمل بالأحكام الشرعية واجب، وبما أن الإحاطة بالعلوم الشرعية التفصيلية متعذر، فالواجب يحتم التمحيص في أخذ الدّين عمن

---

١٦٤ البخاري
١٦٥ أحمد والترمذي
١٦٦ البخاري
١٦٧ الآية ١٨ سورة الفتح
١٦٨ مسلم

شُهد لهم بالفضل، ففي الفقه، نعتقد بوجوب اتباع واحد من الأئمة الأربعة الكبار، وهم الإمام مالك، وفيه ورد "**يوشك أن تضرب أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة**"، ثم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وفيه ورد "**لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس**"، ثم الإمام أبو محمد بن إدريس الشافعي، وفيه ورد "**وعالم قريش يملأ طباق الأرض علماً**"، والإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل، والأدلة التي أوردناها هنا ظنية الثبوت. وهناك أئمة آخرون، منهم الليث بن سعد، وسفيان الثوري، وابن راهويه، ومحمد بن جرير الطبري، وابن عيينة، والأوزاعي، لكن علومهم لم تصل للناس بالطريقة العلمية الكاملة كما وصلت علوم الأئمة الأربعة.

أما في علم التوحيد، فنتبع أحد أئمة التوحيد: أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي.

أما في علم التزكية والتربية فنتبع الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد، ومن هم على نهجه في هذا العلم كالإمام الغزالي، لأن أئمة التصوف هم علماء التربية والتزكية في الإسلام، وهم الذين يصلون بالمرء إلى مرتبة الإحسان، ثالث مراتب الدين بعد الإسلام والإيمان الواردة في تعريف الرسول صلى الله عليه وسلم للإحسان "**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"[١٦٩].

والتصوف: يقوم على الالتزام التام، وبمراقبة شيخ عارف بما في الكتاب والسنة. والشغل الشاغل للصوفية هو التزكية، لقوله تعالى **(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن**

---

١٦٩ مسلم

دَسَّاهَا)[١٧٠]، وقال أيضا **(مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً)**[١٧١]. وهنا تكمن وظيفة الشيخ المرشد، هداية الناس لباب الله تعالى.[١٧٢]

أما في علم الحديث، فمرجعيتنا هي كتب علماء الحديث: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والبيهقي، وأحمد، وابن ماجة، وغيرهم من علماء الحديث القدامى.

هؤلاء جميعاً في شتى العلوم هم أئمة الأمة، ولا بد من الرجوع إليهم، كل في علومه واختصاصاته، ومن شذَّ عن منهج هؤلاء الهداة فقد فاته أكثر مما ناله.

الأولياء:

كما نعتقد بجواز وقوع الكرامة **للأولياء** في الحياة وبعد الممات، كما ذهب إليه جمهور أهل السنة، بل هي بعد الممات أولى لقربه من مولاه في دار الحق، وفي الحديث تفصيل يرجع إليه في كتاب الدلالة النورانية.

بحث في مشروعية زيارة القبور:

زيارة القبور سنة نبوية، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عنها في صدر الدعوة الإسلامية في مكة، لأن الناس كانوا على عهد قريب من الشرك، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يسلخ الناس عن كل ما قد يَمَسُّ عقيدتهم من الانحراف عن جادة

---

١٧٠ الآية ٩ و١٠ سورة الشمس

١٧١ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً. الآية ١٧ سورة الكهف

١٧٢ للمزيد، راجع كتاب الدلالة النورانية

التوحيد. ولما استقرت عقائد الناس على توحيد الله تعالى، أباح النبي صلى الله عليه وسلم زيارة القبور بفعله وقوله. أما فعله فهو تكرار زيارته لأصحابه في البقيع، وزيارته لأهل أحد، وهذا ثابت في سنته. أما أقواله صلى الله عليه وسلم، فمنها حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"**[١٧٣] وفي رواية **"فإنها تذكركم بآخرتكم"**. فالزيارة في فهمنا هي للعظة والاعتبار، هذا في الزيارة العامة لقبور المسلمين، ومن باب أولى أن تكون الزيارة أبلغ في الموعظة إذا كانت لزيارة قبور الأنبياء وآل البيت والصحابة والأولياء والصالحين والشهداء.

وقد نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن زيارة قبور المنافقين والكافرين، فقال تعالى: **(وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ)**[١٧٤]، وهذا يفيد بجواز زيارة قبور المؤمنين والمسلمين.

أما الحديث الوارد في النهي أو لعن زوارات القبور: **"لعن الله زوارات القبور"** فقال العلماء بأنه حديث منسوخ للعلة التي ذكرناها في بداية البحث، قد نسخ بأحاديث كثيرة تنسف معناه، منها أن السيدة عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: **"ماذا أقول إذا أتيت البقيع؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون"**[١٧٥]. فيؤخذ من هذا الحديث جواز زيارة المرأة للقبور إذا أمنت الفتنة.

---

١٧٣ مسلم، الموطأ، النسائي
١٧٤ الآية ٨٤ سورة التوبة
١٧٥ مسلم

أما الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**[١٧٦] فهو لا يفيد النهي عن البناء على القبور، إنما يفيد النهي عن السجود للقبر والصلاة عليه، وهذا الذمّ واقع على اليهود والنصارى، لا على هذه الأمة، لأنهم انحرفوا في مفهوم الزيارة وقلبوها إلى سجود وعبادة. وهذا ينطبق على هذه الأمة إذا فعلت فعلهم، بمعنى أن المسلم إذا زار قبر النبيّ أو الصحابي أو الوليّ، واعتقد أنهم يتصرفون في الكون، وأن بيدهم الخير والنفع، فقد وقع فيما وقع فيه اليهود والنصارى وضلّ. أما إن زارهم للعظة والاعتبار والتماس البركة من عندهم، ودعى الله تعالى من عندهم، فهذا ليس شركاً ولا كفراً.

ونحن نعلم أن هناك بعض السلوكيات التي تكون عند قبور الأولياء والأنبياء من ذبح وطواف وسؤال أصحاب القبور، وهذا مما ننكره وننادي بتوعية من يفعل ذلك، بدلاً من تكفيره، لأنه لو علم أنه يعصي الله ورسوله بفعله لما فعل، لأنه إنما يفعل ذلك جهلاً، ومن أصرّ فحكمه إلى الله.

التوسل:

يقول الله تعالى: **(يا أيها الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)**[١٧٧]. يقول الشيخ أحمد الصاوي المالكي في حاشيته، على تفسير الجلالين في تفسير هذه الآيات: "لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة، وكانت التوبة من جملة التقوى، حثّ على طلبها هنا. وقوله (إليه) متعلقا بـ (ابتغوا) أي ما يقربكم ويوصلكم إليه، والتقوى هنا في الآية: ترك المخالفات، وابتغاء الوسيلة: فعل المأمورات، ويصح أن المراد بالتقوى امتثال

١٧٦ البخاري ومسلم
١٧٧ الآية ٣٥ سورة المائدة

المأمورات الواجبة، وترك المنهيات المحرمة، وابتغاء الوسيلة هو ما يقربه إليه مطلقاً... ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك. فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فالزموه، واتركوا ما يبعدكم عنه. وإذا علمت ذلك فمن الضلال البيّن والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله، كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، من الخير)[١٧٨]، والوسيلة له: هي التي قال الله تعالى فيها: **(وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)**."

وقد فسر بعضهم الوسيلة بمنزلة في الجنة، وكونها بهذا المعنى غير ظاهر، لاختصاصها بالأنبياء عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا صليتم فاسألوا الله لي الوسيلة، قيل يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: إنها أعلى منزلة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو الله أن أكون هو"**[١٧٩].

ويقول الله تعالى أيضاً: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)**[١٨٠]، قال الزمخشري في الكشاف: "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت، جاءوك تائبين من النفاق، متنصلين عما ارتكبوا، فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص، وبالغوا بالاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك، حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى ومستغفراً، لوجدوا الله تواباً رحيماً، أي لتاب عليهم".

---

١٧٨ النسائي، ورواية البخاري (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)
١٧٩ أحمد وغيره
١٨٠ الآية ٦٤ سورة النساء

وهذه الآية وإن كانت نزلت بسبب المنافقين والمتحاكمين إلى الطاغوت، فهي عامة تشمل كل عاصٍ ومقصّرٍ ومذنبٍ، لأن ظلم النفس المذكور فيها، يشمل كل معصية، ثم إن الآية تدل على الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حالتي حياته ووفاته، لأن كلاً من فعلي المجيء والاستغفار، وقع في سياق الشرط، أو الفعل في سياق يدل على العموم، والاستشفاع في حالة الحياة ظاهر وليس فيه خلاف، وأما في حالة الوفاة فينكره بعض الأدعياء، متوهمين أن الموت يحول دون تحققه، وفي ذلك خطأ ظاهر لسببين نذكرهما الآن مختصرين، على أن نشرحهما فيما بعد:

الأول: أن الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقون.

الثاني: أننا نعتقد أن جميع الأنبياء والأولياء لا فعل لهم ولا قدرة ولا تصرف، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم، وأن الأمر كله لله، وإنما التوسل بهم وطلب الدعاء منهم، هو لأنهم محل نظر ورعاية وولاية الله تعالى، فيستوي بذلك الأمر في حياتهم الدنيوية والبرزخية، بل البرزخية من باب أولى .

إن أصل التوسل مشروع لا خلاف فيه، وإن من أنكره، قدح - والعياذ بالله - في كثير من الآيات والأحاديث والأقوال التي سنتعرض لها إن شاء الله، ولم يتعرض للإنكار أحدٌ من العلماء والصالحين طيلة التاريخ الإسلامي، إلا مِن بعض المتأخرين، ولا عبرة بقولهم، وقد رد العلماء عليهم قولهم وأوضحوا بطلان آرائهم التي ابتليت بها الأمة.

أنواع التوسل:

سؤال: ما هي أنواع التوسل؟ وهل هناك خلاف حولها؟

جواب: التوسل ستة أنواع، ثلاثة منها لا خلاف فيها بين المسلمين جميعاً:

النوع الأول: التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم :

وهو أساس التوسل بالصالح الحي إلى الله تعالى. ومن أدلته:

الحديث الأول: **"أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من بابٍ كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يخطُب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قزعةٍ، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً، قال: ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال: اللهم حَوْلَنا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري"**[١٨١]. وفي الحديث دليل واضح على جواز التوسل بالحي الصالح، وإلا لأُمر ذلك الرجل بالدعاء من بيته أو أي مكان آخر دون الرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

١٨١ مسلم

الحديث الثاني: **"أن رجلاً أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أُصبت ببصري، فادع الله لي، فقال صلى الله عليه وسلم: اذهب فتوضأ وصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحق نبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أستشفع بك على ربي في رد بصري - وفي رواية "في حاجتي لتقضى لي اللهم شفِّعه فيَّ" - ثم قال صلى الله عليه وسلم: وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك"**[١٨٢]. وهذا الحديث حجة قوية في صحة التوسل بالحي، ومفهومه حجة لصحة التوسل بالميت. وسيأتي ذكره في مكان آخر.

وورد: **"أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هلك الزرع وجف الضرع وإنّا نستشفع بك إلى الله تعالى ونستشفع بالله عليك. فسبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال: ويحك أتدري ما الله تعالى! إن الله تعالى لا يُشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك"**[١٨٣]. فيلاحظ هنا إنكاره صلى الله عليه وسلم قول الرجل: (إنا نستشفع بالله تعالى عليك). ولم ينكر قوله: (إنا نستشفع بك إلى الله تعالى).

وفي الصحاح مجموعة عطرة من هذه الأحاديث، لا يتسع لها المجال هنا في إثبات صحة التوسل بالحي الصالح.

---

١٨٢ أخرجه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجة في السنن ونص على صحته النسائي وأبو نعيم والبيهقي والمنذري والهيثمي والطبراني وابن خزيمة وهو ما رواه الترمذي بسنده عن عثمان بن حنيف

١٨٣ أبو داود في سننه وغيره

النوع الثاني: التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته :

وهو التوسل إلى الله بذاته تعالى وبأسمائه وصفاته ونحوها. وهذه الأنواع متفق على مشروعيتها.

قال تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**[١٨٤]

وقال تعالى: **{وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}**[١٨٥]

وقال تعالى: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**[١٨٦]

والأدلة على هذا النوع أكثر من أن تحصى.

النوع الثالث: التوسل بالعمل الصالح :

وهو توسل الحي بالعمل الصالح إلى الله تعالى.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم، اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت**

---

١٨٤ الآية ١٨٦ سورة البقرة
١٨٥ الآية ١٨٠ سورة الأعراف
١٨٦ الآية ٦٠ سورة غافر

لا أغبق قبلها أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليها حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلها أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمّت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلتْ، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أُحِل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، وفي رواية: أسألك بالله أن لا تفض الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال يا عبد الله: أدِّ إليّ أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا استهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون"[١٨٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج إلى الصلاة قوله: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشايَ هذا، فإني

١٨٧ البخاري ومسلم

لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة"[١٨٨]. وهذا الحديث أيضاً توسل بالعمل الصالح والرجل الصالح "بحق السائلين عليك" "وبحق ممشاي هذا".

النوع الرابع: التوسل بالميت الصالح:

وهو الأمر الذي اشتد الخلاف فيه في هذا الزمن ولم يكن مطروقاً في الماضي. علماً بأن جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة قد أجازوه بالدليل الشرعي. وفي الشرع من الأدلة النقلية الصحيحة ما يؤكد هذا النوع من التوسل. ولقد أوردنا في النوع الأول من أنواع التوسل حديث الأعمى لأنه المحور الأساسي في إثبات شرعية هذا النوع الرابع من التوسل. ونص الحديث حجة صحيحه للتوسل الأول، ومفهومه حجة لصحة التوسل بالميت. فقد بيَّنَّا في التمهيد عقيدتنا في التوسل في أننا لا نتوسل بالجسم ولا بالحياة ولا بالموت، ولكن بالمعنى الحسن والجاه الرفيع المقبول عند الله للصالح حياً كان أو ميتاً، إذ الفعل لله، ولا فرق بين حياة المتوسَّل به أو مماته. وقوله في الحديث **(يا محمد إني أستشفع بك)** نداء للغائب يستوي فيه الحي والميت.

ورغم ذلك فهناك أثر طيب أخرجه الطبري في معجمه الصغير عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: وهذه الرواية هي امتداد للمفهوم والمعنى الذي ورد في حديث الأعمى: (أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يتلفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا إليه

---

١٨٨ ابن ماجة

ذلك، (وهذه الحادثة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد خلافة أبي بكر وعمر) فقال له عثمان بن حنيف: [وهو الصحابي المحدث العالم بدين الله] إيت الميضأة، فتوضأ، ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد: إني أتوجه بك إلى ربي، فيقضي حاجتي قال: وتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل يصنع ما قاله له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة (الوسادة) فقال: ما حاجتك، فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمتَه، (يظن أن ابن حنيف كلَّمه، وتوسط له عند أمير المؤمنين عثمان) فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلَّمتُه، ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أوَتصبر؟ فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال صلى الله عليه وسلم: إيت الميضأه، فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل الأعمى (كأن لم يكن به ضر قط). والحديث محقق مع الحديث الأول.

سؤال: يقر البعض بجواز التوسل بالصالح الحي والعمل الصالح وبعدم جوازه بالصالح الميت. ويستشهدون على ذلك بتوسل الصحابة بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، أين الحقيقة في ذلك؟

جواب: (أن الأرض أجدبت في زمن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، وكادت الريح تذر تراباً كالرماد لشدة الجدب فسمي (بعام الرمادة)، ولذلك خرج سيدنا عمر

رضي الله عنه يستسقي، فقال للناس: هل فيكم من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم، العباس بن عبد المطلب، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخذ سيدنا عمر بيده وأوقفه أمامه وقال: (اللهم إنّا نتقرب إليك بعم نبيك فأنت تقول وقولك الحق {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} (٨٢ الكهف) فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقد دنونا به إليك مستغفرين، ثم أقبل على الناس وقال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، والعباس عيناه تنضحان وهو يقول: (اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الكبير والصغير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السرّ وأخفى، اللهم أغثنا بغيثك فقد تقرب القوم بي إليك لمكانتي من نبيك عليه الصلاة السلام). فنشأ طرير من سحاب وقال الناس: أترون أترون! ثم تراكمت الغيوم وماست فيها ريح ثم هرّت ودرّت، حتى قلعوا الحذاء وقلعوا المآزر، وعاد الناس يتمسحون بردائه ويتبركون به، ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين)[١٨٩].

جملة القول في موضوع التوسل بالصالح الميت ينحصر في الآتي:

أولاً: جاء في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر: "سبب توسل الصحابة بالعباس أن هذا لا يتنافى مع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره، لأن سبب توسلهم به رضي الله عنه، هو قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم، فكأنهم توسلوا بالرسول وبعمّه في وقت واحد". وكانت طائفة في العام نفسه وللسبب نفسه تتوسل إلى الله مستسقين بالرسول صلى الله عليه وسلم في قبره، كما (أن بلال بن الحارث المزني

١٨٩ حديث التوسل بالعباس، حديث صحيح رواه البخاري والطبراني وابن ماجة

الصحابي، أتى إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الرماد، في عهد عمر بن الخطاب وقال: (يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا.)[١٩٠]..إلخ. وهو نص لم ينكر على الصحابي فأخذ قوة الإجماع.

قال محمد بن حرب الهلالي: (أتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فزرته فجلست بحذائه، فجاء أعرابي بعدما دفنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبره وحثى من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ}** وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنه قد غفر لك)[١٩١]. وفي هذا جواز التوسل واستمداد المغفرة والمدد من الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: إن الأمر بالنسبة للأنبياء والشهداء يستوي في الحياة والممات لأنهم أحياء في قبورهم، ولأن الأرض لا تأكل أجسادهم، عن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"**[١٩٢]، عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: **"الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون"**[١٩٣]. عن أنس بن

١٩٠أخرجه ابن أبي شيبة عن مالك الدار بسند صحيح، كما في فتح الباري، وأخرجه البخاري في التاريخ، وابن أبي خثيمة والبيهقي في الدلائل

١٩١ ابن عساكر وابن الجوزي وابن النجار بأسانيدهم

١٩٢ النسائي

١٩٣ البيهقي في كتاب الأنبياء وصححه

مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره"**[١٩٤].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"حياتي خير لكم تحدثون ويُحدّث لكم، فإذا أنا متّ، كانت وفاتي خيراً لكم، تُعرض علي أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم"**[١٩٥]. وهذا العرض كل يوم، وقد عُدّ من خصائصه صلى الله علية وسلم. وكثرة الأحاديث بهذا المعنى تدل دلالة لا شك فيها، على أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من باب أولى، لأن هذا هو حال الشهداء أيضاً، وإن كانت حياتهم دون حياة الأنبياء. قال تعالى: **(وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ)**[١٩٦].

ثالثاً: هذه الوسيلة كانت قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر القرآن الكريم قصة بني إسرائيل في قوله تعالى: **{وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}**[١٩٧] يقول صاحب الكشاف ما نصُّهُ: "وكانوا يعني اليهود من قبل: أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. يستفتحون: أي يستنصرون به. على الذين كفروا: يعني مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا إذا حزبهم أمر أو دهمهم عدو يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، وكانوا ينتصرون. وكانوا يقولون لأعدائهم من

---

١٩٤ مسلم

١٩٥ رواه الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح

١٩٦ الآية ١٥٤ سورة البقرة

١٩٧ الآية ٨٩ سورة البقرة

المشركين، قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما جاءهم ما عرفوا: أي الرسول صلى الله عليه وسلم، عرفوا نعته وصفته. كفروا به: أي جحدوه وأنكروه بغياً وحسداً وكفراً".

رابعاً: يُستفاد من حديث التوسل بالعباس درسٌ لقَّننا إياه أمير المؤمنين عُمر للتبرك والمحبة لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: **{قُل لاَّ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}**[١٩٨].

النوع الخامس: التوسل بالصالح الحي :

وقياساً على حديث العباس والاستسقاء به، أجاز العلماء التوسل بالصالح الحي الذي عُلم صلاحه من غير النبي صلى الله عليه وسلم، كما أجازوا التوسل بالصالح الميت قياساً على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته. وهذا عمر بن الخطاب يتوسل إلى الله بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن زيد بن أسلم قال: (لما أبطأ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عَمرو بن العاص رضي الله عنه: أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على القتال، وقدِّم أولئك الأربعة في صدور الناس، وأمر الناس أن يكونوا لهم صدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة

---

١٩٨ الآية ٢٣ سورة الشورى

فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة)[١٩٩]. وهذا خالد بن الوليد يتوسل ويستنصر بشَعر النبي صلى الله عليه وسلم، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم أن خالِداً بن الوليد رضي الله عنه، فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها فلم يجدوها، فقال اطلبوها فوجدوها، فإذا هي قلنسوة خَلقة (بالية) فقال خالد: (اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقت النصرة)[٢٠٠].

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري: (أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنهما وضع يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه). و عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: (رأيت ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إذا خلا المسجد، أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون).

والعقيدة الصحيحة التي نحن عليها أن الأنبياء والأولياء والصالحين لا فعل لهم ولا قدرة ولا تصرف لا الآن ولا حين كانوا أحياء في دار الدنيا، لأن صفتهم الفناء والاستهلاك. وهو ما أكده الشيخ يوسف الرفاعي في كتابه «أدلة أهل السنة والجماعة» بقوله: "لو كان هذا التوسل شركاً وتوجهاً إلى غير الله كما يزعم المنكرون، فينبغي أن يمنع التوسل وطلب الدعاء من الصالحين من عباد الله وأوليائه في حال الحياة أيضاً. وليس ذلك مما يُمنع فإنه مستحبٌ ومستحسن شائع في الدين، ولو زعم أنهم عزلوا وأخرجوا من

---

١٩٩ أخرجه بن عبد الحكم

٢٠٠ الطبراني

الحالة والكرامة التي كانت لهم في الحياة الدنيا فما الدليل عليه؟ ومن اشتغل من الموتى عن ذلك بما عرض له من الآفات فليس ذلك كافياً ولا دليلاً على دوامه واستمراره إلى يوم القيامة". ويقول أيضاً "نعم إن كان الزائر يعتقد أن أهل القبور متصرفون ومستبدون وقادرون من غير توجه إلى حضرة الحق والالتجاء إليه كما يعتقده العوام الغافلون الجاهلون، وكما يفعل أولئك من تقبيل القبر والسجود والصلاة إليه مما وقع عنه النهي والتحذير، فذلك مما يمنع ويحذر منه، وفعل العوام لا يعتبر قط، وهو خارج عن البحث وحاشا من العالم بالشريعة والعارف بأحكام الدين أنه يعتقد ذلك ويفعل هذا".

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين في المناظرة التي كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال له الإمام مالك: (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)**[٢٠١]. وقد مدح قوماً فقال **(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ)**[٢٠٢]، وذم قوماً فقال: **(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ)**[٢٠٣]. وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله (يعني الإمام مالك) أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الإمام مالك :ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة. بل استقبله واستشفع به

---

٢٠١ الآية ٢ سورة الحجرات
٢٠٢ الآية ٣ سورة الحجرات
٢٠٣ الآية ٤ سورة الحجرات

فيشفِّعه الله، قال الله تعالى: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم)**[٢٠٤]. وهذه القصة رواها القاضي عياض بإسناد صحيح. وقد صرح كثيرٌ من العلماء بهذا.

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة ينص على: (صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، كما دلت الأحاديث السابقة). فإننا إذاً وبناءاً على ما تقدم لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا خيراً إلا لله وحده لا شريك له، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا خيراً للنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والإيجاد والتأثير، ولا لغيره من الأحياء والأموات. فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء، وكذا بالأولياء والصالحين، ولا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً، لأنهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم من دون الله تأثير في شيء، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحبّاء الله تعالى، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له، ولأنه تسري بركة المكان على الداعي، كما ذكر الإمام الشوكاني. أما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات حيث جوّزوا بعض التوسلات بالأحياء دون الأموات، فهم القريبون من الزلل والخلل، لأنهم اعتبروا أن الأحياء لهم تأثير دون الأموات مع أنه لا تأثير إيجاداً لغير الله تعالى على الإطلاق.

وأما الإفادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادة اعتيادية، وتوجه أرواحهم إلى الله تعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل فهو شيء جائز وواقع وخال عن كل خلل دون الفرق بين الأحياء والأموات.

---

٢٠٤ الآية ٦٤ سورة النساء

فشبهة المانعين إن كانت من جهة أن الأموات أجساد هامدة جامدة، ولا روح ولا إدراك ولا مجال للخطاب معهم، فتلك ساقطة من الاعتبار لأن أجساد الأنبياء لا تبلى، وأن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحومهم، وأن أرواحهم باقية ثابتة، ولها إدراك بإذن الله تعالى، وهو تعالى يعلمها بصلاة المسلمين وبتوسلات المتوسلين، وحسبك في الموضوع خطابك النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة عند التشهد بقولك: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وليس (السلام على النبي). فإذا توسلنا به صلى الله عليه وسلم على معنى طلب الدعاء منه فطلب الدعاء مشروع، وإذا توسلنا بذاته الشريفة أو بجاهه العظيم أو بحقه الجسيم فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة. وإذا كان القصد الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم، فلا شك أنه الشفيع وشفاعته ثابتة شرعاً. وما توهم الناس به من أنه شرك، فالشرك أن يجعل العبد أحداً سوى الله تعالى شريكاً له في الألوهية والربوبية والخلق، وأين ذلك من التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم، بصفة أنه عبد الله ونبيه ورسوله، أكرمه بفضله وجعل له الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود.

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن الشريف:

فامدح كما شئت فهو الفذ مرتبة وليس فوقه إلا الله فافتهم[٢٠٥]

وقياس المسلمين المتوسلين على عُبَّاد الأصنام فيما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)**[٢٠٦] ونحوه، ناشئ عن إغماضٍ عن الحق وانحرافٍ عن الواقع وتسوية بين الأمة الوثنية الجاهلة الضالة وبين الأمة المسلمة المؤمنة بالله وحده لا

٢٠٥ تحفة الإخلاص \ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية
٢٠٦ الآية ٣ سورة الزمر

شريك له، الناشئة عن الملة الإسلامية الحنيفة التي تمرنت على الاعتقاد بالله والتي رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً ورسولاً ونبياً. وآمنت بأن البعث حق والجنة حق والنار حق والموت حق والحساب حق. وكيف يتصور بمن أسلم وقرأ القرآن وفهم تعاليمه وأحب النبي العدنان، أن يظن تلك الظنون الفاسدة التي ظنها عُبَّاد الأصنام الجاهليون. وكيف يتصور ذلك من العارفين بالله الدارسين لمعنى **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)**[٢٠٧]، ولإنذارات الرسول صلى الله عليه وسلم لعشيرته بعد نزول قوله تعالى **(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)**[٢٠٨].

النوع السادس: التوسل بالجاه:

يقول العلامة الألوسي البغدادي في تفسيره «روح المعاني» بعد بحث طويل في التوسل يقول ما نصه: "أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله بجاه النبي صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً. ويراد من الجاه معنىً يرجع إلى صفة من صفاته مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته. فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل إليك بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضي حاجتي، إلهي اجعل محبتك له وسيلةً في قضاء حاجتي. ولا فرق بين هذا، وقولك: إلهي أتوسل إليك برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً: (إلهي! اجعل رحمتك وسيلة في كذا)، بل لا أرى بأساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى. نعم، لم يُعهد التوسل بالجاه والحرمة على

---

٢٠٧ الآية ١١٠ سورة الكهف
٢٠٨ الآية ٢١٤ سورة الشعراء

أحد من الصحابة [الكلام للألوسي] ولعل ذلك كان تحاشياً منهم عما يخشى أن يعلق منه في أذهان الناس، إذ ذاك وهم قريبو عهدٍ بالتوسل بالأصنام. ثم يقول إن التوسل بجاه غير النبي صلى الله عليه وسلم لا بأس به أيضاً، إن كان المتوسل بجاهه ممن عُلم أن له جاهاً عند الله تعالى، كالمقطوع بصلاحه وولايته".

ومن هذا الفهم الطيب فتح الله على شيخنا الشيخ عبد الرحمن الشريف في قصيدته المشهورة التي يرددها أتباع الطريقة دوماً، وهي تزخر بالتوسلات الشرعية بالسادات الكرام رجال السند الشريف حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قصيدة «حزب الهمزة» التي بدأ بيتها الأول بقوله:

ندعوك يا الله بالآيات والذكر الحكيم بمظهر الأسماء

وبحضرة القدس التي شغفت بها أكباد رسل الله والأنباء[٢٠٩]

اصطلاح «مدد»:

سؤال: ما هي شرعية استخدام البعض نداء «مدد»؟

جواب: يقول الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله: "إن كلمة «مدد» التي ينادي بها أحدهم رسول الله، أو يخاطب بها أشياخه، أو غيرها من الكلمات التي أثارت حفيظة البعض، لها تأويل شرعي حيث ادعى هؤلاء أن هذه الكلمة هي سؤال لغير الله،

---

٢٠٩ حزب الهمزة ١ من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

واستعانة بسواه مخالفة للنص الشرعي. فنقول إن الله تعالى يقول **(كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ)**[٢١٠].

وحتى تكون الصورة أوضح نقول: على السالك في جميع أحواله أن يعلم أمرين:

الأول: أن يعلم أن الله تعالى هو مُسبب الأسباب، والمتصرف تصرفاً مطلقاً في هذا الكون خلقا وإمداداً. ولا يجوز للعبد أن يشرك معه أحداً من خلقه مهما علا قدره من نبيّ أو وليّ.

الثاني: أن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً، فالمؤمن يتخذ الأسباب، ولكنه لا يعتمد عليها، ولا يعتقد بتأثيرها الاستقلالي. فإذا نظر العبد إلى السبب واعتقد بتأثيره المستقل عن الله تعالى، فقد أشرك لأنه جعل الإله الواحد آلهة متعددين، وإذا نظر للمسبب وأهمل اتخاذ الأسباب، فقد خالف سنة الله الذي جعل لكل شيء سبباً، والكمال هو النظر بالعينين معاً فنشهد المسبب ولا نهمل السبب... ولتوضيح هذه الفكرة نسوق بعض الأمثلة عليها:

إن الله تعالى وحده هو خالق البشر، ومع ذلك فقد جعل لخلقهم سبباً عادياً، وهو التقاء الزوجين، وتكُّونُ الجنين في رحم الأم، وخروجه منه في أحسن تقويم.

وكذلك فإن الله تعالى هو وحده المميت، ولكنه جعل للإماتة سبباً هو ملك الموت، فإذا لاحظنا المسبب قلنا **(اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ)**[٢١١]. وإذا قلنا إن فلاناً قد توفاه ملك

---

٢١٠ الآية ٢٠ سورة الإسراء

الموت لا نكون قد أشركنا مع الله إلها آخر لأننا لاحظنا السبب كما بيَّنه تعالى في قوله: **(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ)**[٢١٢].

وهكذا الأمر بالنسبة للهداية، إذا نظرنا للمسبب رأينا أن الهادي هو الله وحده. ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)**[٢١٣]، وإذا لاحظنا السبب نرى قول الله تعالى لرسوله: **(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)**[٢١٤]. أي تكون سبباً في هداية من أراد الله هدايته.

والعلماء العارفون المرشدون هم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم في هداية الخلق ودلالتهم على الله تعالى. فإذا استرشد مريد بشيخه، فقد اتخذ سبباً من أسباب الهداية التي أمر الله تعالى بها، وجعل لها أئمة يدلون عليها **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)**[٢١٥]، فكما يجوز أن نقول يا رسول الله اهدني، ويا ملك الموت اقبضني، باعتبار أن المسبب في الهداية والقبض هو الله تعالى والسبب في الأول الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الثاني ملك الموت. كذلك يجوز القول مدد يا رسول الله، باعتبار أن المسبب بالمدد هو الله وأن المدد من عنده، والسبب فيه هو الرسول

---

٢١١ الآية ٤٢ سورة الزمر
٢١٢ الآية ١١ سورة السجدة
٢١٣ الآية ٥٦ سورة الإسراء
٢١٤ الآية ٥٢ سورة الشورى
٢١٥ الآية ٢٤ سورة السجدة

صلى الله عليه وسلم، كذلك نقول إن الهداية سببها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسببها هو الله وهي تجري بأمره **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)**[٢١٦].

الرقية الشرعية:

وهي أن يقرأ الإنسان على نفسه أو على غيره آيات من كتاب الله أو بعض الأدعية الواردة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهي جائزة شرعاً بنص الكتاب والسنة، قال تعالى **(وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)**[٢١٧]، وقال أيضا **(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ)**[٢١٨]، عن عبد الله بن جابر في فاتحة الكتاب: "شفاء من كل داء"[٢١٩]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غُيّب، فهل منكم راق، فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تُحسن رقية أو كنت ترقي قال: لا، ما رقيت إلّا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: **وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم**"[٢٢٠]، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: "كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله: كيف ترى في ذلك؟

---

٢١٦ الآية ٢٤ سورة السجدة

٢١٧ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً. الآية ٨٢ سورة الإسراء

٢١٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِيَ آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ. الآية ٤٤ سورة فصلت

٢١٩ البيهقي وغيره

٢٢٠ البخاري

فقال: **اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**"[٢٢١]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن ويقول إن أباكما - يعني سيدنا إبراهيم – كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحق: أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة"[٢٢٢]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

ويشترط في هذه الرُّقى ألا يكون محتواها مجهولاً ومبهماً، أو التي بغير اللغة العربية، أو التي بها كلمات وعبارات كفرية أو شركية. وعلى الراقي والمرقي أن يعتقد بأن النفع والضر من الله لا من الأشخاص ولا من ذات الكلمات المقروءة أو المكتوبة.

أما التمائم أو الخرزات التي تعلق لدفع العين، فهي محرمة لأن اتخاذها يدل على اعتقاد تأثيرها، ويفضي بشكل من الأشكال إلى الشرك، واعتقادها ينافي التوكل.

---

٢٢١ مسلم
٢٢٢ البخاري

الباب الرابع: الإيمان بالملائكة

الملائكة: هم أجسام نورانية **(لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**[٢٢٣]، لا يعلم عددهم إلا الله، ذكر الله لنا عن بعضهم بالجملة، وعن بعضهم الآخر بالتفصيل، والذين أخبر عنهم بالتفصيل (جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ورقيب عتيد، ومنكر، ونكير، وخازن الجنة رضوان، وخازن النار مالك).

فوجب علينا إذاً الإيمان بالملائكة الذي هو أحد أركان الإيمان الستة.

والملائكة كما قلنا خلقوا من نور، وهم عالم غيب لا يعلم كنههم إلا الله، إلا أننا نعلم منهم ما ذكره القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أنهم يقدرون على أن يتشكلوا بأي صورة، وقد فطرهم الله على الطاعة، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة، وقد جعل الله لهم وظائف، فجبريل هو رسول الوحي للرسل، فيأتيهم بكلام الله. وميكائيل موكل بالأمطار، ويسوق السحاب إلى ما شاء الله. وملك الموت موكل بقبض الأرواح. وإسرافيل ينفخ في الصور يوم القيامة. ورضوان هو خازن الجنة، وله أعوان كما قال تعالى: **(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ)**[٢٢٤]. ومنكر ونكير، فهما موكلان بفتنة الإنسان في قبره بعد مماته. ورقيب عتيد، وهما موكلان بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال. ومنهم الملائكة الموكلون بالأجنّة في

---

٢٢٣ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قُوۤاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. الآية ٦ سورة التحريم

٢٢٤ الآية ٧٣ سورة الزمر

الأرحام، إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه فإنه تعالى يرسل إليه الملك فيؤمر بكتابة أربع كلمات بعد أن ينفخ فيه الروح: رزقه، وعمله، وأجله، وسعيد أو شقيّ. ومنهم الملائكة الموكلون بحفظ العبد في حلّه وترحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال تعالى: **(سَوَآءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوۤءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)**[٢٢٥]. قال ابن عباس في هذه الآية: والمعقبات من الله، هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى تخلوا عنه. ومنهم حملة العرش **(ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ)**[٢٢٦]. ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله - عز وجل- ، تنادوا: هلمّوا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم - وهو أعلم - : ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟! قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا. فيقول: فماذا يسألون؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟**

---

٢٢٥ الأية ١٠ و١١ سورة الرعد

٢٢٦ الآية ٧ سورة غافر

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار؛ قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟! قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"[٢٢٧]. ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت في حديث خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بني عبد ياليل في الطائف وعودته منهم، وفيه قول جبريل له **"إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك، وفيه قول ملك الجبال (إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)"**[٢٢٨].

واجب المؤمن تجاه الملائكة:

أول واجب على المؤمن تجاه الملائكة هو الإيمان بهم، ومحبتهم في الله تبارك وتعالى، وعدم إيذائهم، فإنهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم. ثم شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

وإذا استعرضنا الآيات البينات التي تتحدث عن الملائكة، فنجدها تدلّ على أن كل إنسان عن يمينه ملك وعن شماله ملك، يكتبان أقواله وأفعاله ومعتقداته ونياته، فلا يهملون شيئاً يصدر عنه، ولو بغير قصد **(إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ**

---

٢٢٧ متفق عليه
٢٢٨ البخاري

قَعِيدٌ، مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[٢٢٩]، **(كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ، وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)**[٢٣٠]، **(لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)**[٢٣١].

فهم يحفظونه من المضارّ ويُلازمونه على كل حال، بخلاف الكتبة فإنهم يفارقونه عند ثلاثة مواطن: عند قضاء الحاجة، وعند الجماع، وعند الغسل. ولا يمنع ذلك من كتابة ما يصدر من العبد في هذه المواطن، لأن حديث **"لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة"**[٢٣٢] المراد فيه ملائكة الرحمة.

أما كيفية الكتابة، فإنا نفوض أمرها إلى الله، ففي ذلك السلامة. لأن المطلوب منا ليس معرفة آلية الكتابة والتسجيل، ونحن اليوم نرى أدوات التسجيل الحديثة المختلفة التي صنعها الإنسان، فكيف بقدرة رب الناس جميعاً؟! بل المطلوب منا هو الأهم من كيفية التسجيل، وهو ما الذي يكتبونه، المطلوب منا أن نحرص على ألا يكتبوا عنا سوى الحسن والطاعة والعبادة والقول والعمل الصالح، حتى إذا ما نشرت الصحف، وجدنا الخير **(وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)**[٢٣٣]، **(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي**

---

٢٢٩ الآية ١٧ و ١٨ سورة ق

٢٣٠ الآية ٩-١٢ سورة الانفطار

٢٣١ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوَءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ. الآية ١١ سورة الرعد

٢٣٢ متفق عليه

٢٣٣ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً. الآية ٤٩ سورة الكهف

عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً، ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)[٢٣٤].

فانظر ماذا يُكتب في صحيفة أعمالك، قبل أن يأتي يوم فيه حساب وليس فيه عمل، وأنت اليوم في حياة فيها عمل وليس فيها حساب.

ومن اللطائف الدالة في أمر الملائكة أنهم يكتبون كل شيء حتى الأنين الصادر من المريض في حال المرض، لذا لا ينبغي للمريض أن يقول (أخ) لأنه اسم من أسماء الشيطان، بل عليه أن يقول (آه) لأنه ورد أنه من أسمائه تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"دعوه (أي المريض) يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه العليل"**[٢٣٥].

ولطيفة أخرى أن الملكين الكاتبين (رقيب عتيد) لا يتغيران ما دام حياً، كاتب الحسنات على اليمين، وكاتب السيئات على الشمال، غير أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل الرجل سيئة أمره صاحب اليمين أن لا يكتب ويقول: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر، فإذا سبح أو استغفر محيت عنه تلك السيئات. وإذا مات الإنسان قاما على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتبان ثوابه إلى يوم القيامة إن كان مؤمناً، ويلعنانه إن كان كافراً. وقيل هم أربعة، ملكان في اليوم، وملكان في الليلة، يتبدلون عند صلاتي العصر والفجر.

---

٢٣٤ الآية ١٣ و١٤ سورة الإسراء
٢٣٥ الجلال السيوطي في الجامع الصغير

الإيمان بالجنّ:

كما خلق الله الملائكة والإنس، خلق الجنّ الذي هو عالم من خلق الله لا يعلم حقيقته إلا هو، ومنهم الصالح والطالح، قال تعالى: **(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ)**[٢٣٦].

قال بعض العلماء: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرهم، بل دله الوحي بوجودهم، وبسماعهم القرآن منه، قال تعالى: **(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً)**[٢٣٧]. وللجن قدرة على التصور في الهيئات المختلفة، ومادة خلقهم النار: **(وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)**[٢٣٨].

قال الترمذي في التفسير: **عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل صحب النبيَّ صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ قال ما صحبه منا أحد ولكن افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة، اغتيل، استطير، ما فعل به، فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، حتى إذا أصبحنا، أو كان في وجه الصبح، إذا نحن به يجيء من قبل حراء، قال فذكروا الذي كانوا فيه قال: فقال أتاني داعي الجنّ فأتيتهم فقرأت عليهم، قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، قال الشعبي سألوه الزاد وكانوا من الجزيرة، فقال كل عظم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم**

---

٢٣٦ يَابَنِيٓ ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ. الآية ٢٧ سورة الأعراف

٢٣٧ الآية ١ سورة الجن

٢٣٨ الآية ١٥ سورة الرحمن

أوفر ما كان لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجنّ"[٢٣٩]

٢٣٩ الترمذي. حديث حسن صحيح

الباب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية

وهي كتب سماوية منزلة على رسل الله عليهم الصلاة والسلام، جعلها الله كتب هداية وإرشاد بما يتناسب مع طبيعة الإنسان، ودوره ورسالته في الحياة، وفيها من الوعد والوعيد، والأوامر والنواهي، والقصص والأخبار، وكل ما فيها ابتداء حق ثابت لا شك فيه ولا ريب. أخبرنا الله تعالى عنها بالجملة، وأخبر عن بعضها تفصيلاً، والتي أخبر عنها تفصيلاً هي: التوراة المنزلة على سيدنا موسى، والزبور المنزل على سيدنا داود، والإنجيل المنزل على سيدنا عيسى، والفرقان المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم جميعاً. وقد أنزل الله تعالى صحفاً على بعض رسله كصحف إبراهيم وصحف موسى، والجامع لهذه الكتب جميعها هو القرآن الكريم **(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)**[٢٤٠].

ويجب الإيمان بهذه الكتب السماوية المنزلة على الرسل المذكورين إيماناً قطعياً، غير أن هذه الكتب غيرت وبُدِّلت، قال تعالى **(يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)**[٢٤١]، ولم يبق سالماً إلا القرآن الكريم، فإنه محفوظ من رب العالمين **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[٢٤٢]، فهو باق كما أنزل إلى يوم القيامة.

---

٢٤٠ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. الآية ٤٨ سورة المائدة

٢٤١ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً. الآية ٤٦ سورة النساء

٢٤٢ الآية ٩ سورة الحجر

وقد وصل إلينا هذا القرآن بالتلقي المتواتر عن الصحابة الكرام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزّة، وأما بقية الكتب فلم تصل عن طريق التواتر، لذلك حرفت وبدلت.

وقد ذكرنا في مبحث سابق، أن كل ما خالف الشريعة الإسلامية من الشرائع السابقة المنزلة على الرسل السابقين يعد منسوخاً لا يجوز العمل به. وما وافقها يعمل به لأنه نزل في القرآن لا لشريعة سابقة.

والقرآن الكريم معجزة خالدة باقية إلى يوم الدين، محفوظ بحفظ الله له، وفيه فلاح الناس متى ما عملوا بأوامره واجتنبوا نواهيه، وفيه سبيل الخلاص والظهور على الناس جميعاً، ولن تقوم الساعة حتى يسود القرآن **(هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً)**[٢٤٣]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم **" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يذل الله به الكفر"**[٢٤٤]، وما ورد عن سيدنا عمر "لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، ثم إن القرآن فيه خبر من قبلكم ، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم.

---

٢٤٣ الآية ٢٨ سورة الفتح

٢٤٤ الهيثمي (مجمع الزوائد) ورواه ابن حبان في صحيحه

الباب السادس: الإيمان باليوم الآخر

هذا هو الركن الأخير الذي نتحدث عنه من أركان الإيمان الستة، ركن الإيمان باليوم الآخر وما يتبعه، وسمي باليوم الآخر لأنه آخر يوم من أيام الدنيا، وفيه تكون النفخة الأولى في الصور، حيث تحصل هذه النفخة في يوم من أيام الدنيا العادية، والناس فيه على أحوالهم الدنيوية من بيع وشراء وعمل ونوم وصباح وغروب. هذا ما يتعلق بالنفخة الأولى حيث تنتهي أيام الدنيا وتبدأ أيام اليوم الآخر، أما في النفخة الثانية فتدخل الخلائق في أيام القيامة حيث يقوم الناس من قبورهم لله رب العالمين.

وعن النفخة الأولى يقول الحق تعالى: **(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)**[٢٤٥].

إذاً فاليوم الذي بعد أيام الدنيا يسمى اليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، وقد ذكر الله هذا اليوم كثيراً في القرآن، ووصف ما فيه من كرب وشدة أحوال حتى قال البعض أن له ثلاثمائة اسم. وفي سورة الحجّ وقع وصف مخيف مرعب لهذا اليوم، قال تعالى **(يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ)**[٢٤٦]، وقال أيضا في وصف هذا اليوم وأهواله: **(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً، ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً)**[٢٤٧].

---

٢٤٥ الآية ٦٨ سورة الزمر
٢٤٦ الآية ١ و ٢ سورة الحج
٢٤٧ الآية ١٧ و ١٨ سورة المزمل

والناس في هذا اليوم على أحوال مختلفة مما ينالهم فيه من الشدة والخوف، فقد أوردت الآيات والأحاديث في طوله أزمنة متعددة، منها ما ذكر أن طوله خمسين ألف سنة، ومنها ما ذكر أن طوله يخفف على المؤمنين حتى يكون بمقدار طول صلاة مفروضة، وهو ما فسره العلماء على أنه تشديد على الكافرين المستكبرين حتى يرونه طويلاً كأنه خمسون ألف سنة، وأنه متوسط الطول على فسقة المؤمنين حتى يرونه طويلاً كأنه ألف سنة، وأنه خفيفٌ على الصالحين الطائعين حتى يرونه قصيراً كأنه وقت صلاة الفريضة. ولا شك بأنه كذلك على المؤمنين لتوارد الآيات والأحاديث الدالة على ذلك كقوله تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)**[٢٤٨].

وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى كثيرة، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إن الله ليخفف على من يشاء من عباده، طوله كوقت صلاة مفروضة"**[٢٤٩].

ومهما يكن فإن الأمر فيه من الخوف الكثير، حتى المؤمنين الآمنين من عذاب الله، فإنه يقع في قلوبهم الخوف، ولكنه خوف الإجلال والإعظام لله رب العالمين، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من الآمنين في ذاك المشهد العظيم، ونسأله تعالى أن يجعل أعمالنا في دنيانا "وهذا ما يهمنا" أهلاً لذاك الأمن والأمان، حتى نكون بجوار ربنا آمنين من الفزع الأكبر، ونسأله تعالى أن ينزل السكينة في قلوبنا دنيا وأخرى، وأن يجعلنا عبيد إحسان لا

---

٢٤٨ الآية ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ سورة الأنبياء

٢٤٩ البيهقي

عبيد امتحان، وأن يهيئ لنا سبل الاستقامة في الدنيا، حتى نكون أهلاً لتنزل الملائكة علينا بالسكينة والبشرى في الآخرة.

فالواجب علينا الاعتقاد، بأنه لابد من يوم عظيم تقوم فيه الخلائق من القبور لربها: **(أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)**[٢٥٠]، ثم يكون السؤال سؤال الملائكة للخلائق عن أعمالهم وتفريطهم فيها: **(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ)**[٢٥١].

علينا أن نعتقد جازمين بأن الله يأخذ حق المظلوم من الظالم في ذاك اليوم، حتى الحيوانات، ويومها يقول الظالم الكافر يا ليتني كنت تراباً، ثم يكون الخلود إما في الجنة للصالحين أو النار للمستكبرين.

ومن أسماء هذا اليوم الواردة سوى ما ذكر: يوم النشور، لأن الناس ينشرون فيه، ويوم العرض، لأن الناس يعرضون فيه، ويوم الموقف، لأن الناس يقفون فيه.

علينا أيها الإخوة قبل الخوض في التفاصيل، وإذا كنا نروم السلامة في الآخرة، أن نعتقد جازمين بأن البعث حقّ، وأن النشر حقّ، وأن الحشر حقّ، وأن الوقوف حقّ، وأن الشفاعة حقّ، وأن الحساب حقّ، وأن الحوض حقّ، وأن الصراط حقّ، وأن الصحف حقّ، وأن الوزن حقّ، وأن دخول أهل الجنة في الجنة حقّ، وأن دخول أهل النار في النار حقّ، وأن رؤية المؤمنين لربهم حقّ، وأن حجب الكفار عن ربهم حقّ، وأن جميع أهوال الآخرة حقّ، وأن جميع نعيمها حقّ.

---

٢٥٠ الآية ٩ و ١٠ و ١١ سورة العاديات
٢٥١ الآية ٢٤ سورة الصافت

علامات الساعة الصغرى والكبرى:

تحدث أهل العلم عن إرهاصات وعلامات ليوم القيامة، وهذه الإرهاصات والعلامات تؤكد أو تشير إلى قرب وقوعها، ذكرها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

من علامات الساعة الصغرى:

١- بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: هي دليل على قرب قيام الساعة **(ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)**[٢٥٢]، وأنه نبي آخر الزمان،

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"بعثت أنا والساعة كهاتين، قال وضم السبابة والوسطى"**[٢٥٣]، فكانت شهرته صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء أنه نبي آخر الزمان.

٢- موت النبي صلى الله عليه وسلم: لقوله صلى الله عليه وسلم: **"أعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ بكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً"**[٢٥٤].

---

٢٥٢ الآية ١ سورة الأنبياء
٢٥٣ مسلم
٢٥٤ مسلم

٣- فتح بيت المقدس: لنفس الحديث السابق، فذكر منها فتح بيت المقدس، وقد تم ذلك في عهد عمر، ونسأل الله أن يعيده مجدداً لحوزة المسلمين.

٤- ظهور الفتن: قال صلى الله عليه وسلم: **"إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسّروا قسيَّكم، وقطّعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل على أحدٍ منكم، فليكن كخير ابني آدم"**[٢٥٥].

٥- ظهور نار الحجاز: قال صلى الله عليه وسلم: **"لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز، تُضيء أعناق الإبل ببصرى"**[٢٥٦]، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام ستمائة وأربعة وخمسين للهجرة، وكانت ناراً عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها في وصفها.

٦- ضياع الأمانة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة"**[٢٥٧].

٧- قبض العلم وظهور الجهل: ونقصد به العلم الشرعي من قرآن وسنة وحديث. فعن هشام بن عروة عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن**

---

٢٥٥ أبو داود
٢٥٦ متفق عليه
٢٥٧ البخاري

يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[٢٥٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: **"من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل"**[٢٥٩].

٨- كثرة الزلازل: قال صلى الله عليه وسلم: **"لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل"**[٢٦٠].

٩- ظهور الكاسيات العاريات في نساء هذه الأمة: بمعنى أن تكون لابسة الثياب وكأنها غير لابسة، وهذا ما ظهر في هذا الزمان. قال صلى الله عليه وسلم: **"سيكون في آخر هذه الأمة، رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال (كأنه يصف سيارات اليوم)، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف (تسريحات هذا الزمان)، العنوهنّ فإنهن ملعونات"**[٢٦١]. وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف رجال ونساء زماننا هذا، حيث نجد الرجال الذين يأتون المساجد ونساؤهم يلبسن ما يصف الجسد ويغطي الرأس، ويدَّعون أنه زي شرعي، ويسرحن شعورهن بهذا الوصف النبوي (كأسنمة البخت)، وهذا ما نراه في هذا الزمان؛ يكون رأس المرأة فيها كسنامين. وهذا من الإعجاز النبوي.

---

٢٥٨ متفق عليه
٢٥٩ متفق عليه
٢٦٠ البخاري
٢٦١ أحمد، الطبراني في الصغير، ابن حبان في صحيحه، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم

١٠- كثرة موت الفجأة: عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة"**[٢٦٢].

١١- حسر الفرات عن جبل من ذهب: فيقتتل الناس فيه قتالاً عظيماً. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو"**[٢٦٣].

١٢- تطاول الحفاة في البنيان: فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان. قال «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان. قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال فأخبرني عن الساعة. قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». قال فأخبرني عن أمارتها. قال «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة

---

٢٦٢ الطبراني

٢٦٣ متفق عليه

رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان». قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي «يا عمر أتدري من السائل؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».[٢٦٤]

١٣- كثرة القتل وانتزاع البركة من العمر والرزق: وغير ذلك من العلامات الصغرى.

أشراط الساعة الكبرى:

أي علاماتها، ونؤمن بها جميعها بلسان الحال والمقال، وهي:

١- طلوع الشمس من مغربها: قال تعالى: **(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيۤ إِيمَٰنِهَا خَيْراً)**[٢٦٥]، وقول عامة المفسرين أن المراد ببعض الآيات هو طلوع الشمس من مغربها. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"**[٢٦٦].

٢- المسيح الدجال: وسمي الدجال لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل لضربه نواحي الأرض، وصفته أنه شاب أحمر، قصير أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وعينه اليسرى عليها ظفرة

---

٢٦٤ مسلم، وقد سبق ذكر رواية لمسلم بنص آخر في مطلع الكتاب عند الملاحظة رقم ٤

٢٦٥ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيۤ إِيمَٰنِهَا خَيْراً قُلِ ٱنتَظِرُوۤاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ. الآية ١٥٨ سورة الأنعام.

٢٦٦ متفق عليه

غليظة، ومكتوب بين عينيه (ك،ا،ف،ر) بالحروف المتقطعة، يقرأها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له. ويخرج من جهة المشرق من خراسان من يهود أصبهان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله، إلا مكة والمدينة لأن الملائكة تحرسهما.

والعصمة منه ومن فتنته تكون بالتمسك بالإسلام، والتعوذ بالله من فتنته كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته: **"اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال"**[٢٦٧]، وحفظ فواتح وخواتيم سورة الكهف لقوله صلى الله عليه وسلم: **"من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال"**[٢٦٨]، قال أبو داود: وكذا قال هشام الدستوائي، عن قتادة، إلا أنه قال: **"من حفظ من خواتيم سورة الكهف"**. وقال شعبة عن قتادة: **"من آخر الكهف"**[٢٦٩].

وهلاك الدّجال يكون بنزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فيقابله في باب لدّ بفلسطين، فإذا رأى الدجال عيسى عليه السلام يذوب كما يذوب الملح في الماء، ومع ذلك يتداركه عيسى عليه السلام فيقتله، وينهزم أتباعه فيقتلونهم حتى يقول الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي ورائي تعال فاقتله.

---

٢٦٧ متفق عليه

٢٦٨ مسلم

٢٦٩ مسلم من حديث هام وهشام وشعبة عن قتادة به بألفاظ مختلفة وقال الترمذي: حسن صحيح

٢- ظهور المهديّ عليه السلام:

المحدثون متفقون على صحة حديث خروج المهديّ، فقد صرح الحافظ بن حجر بثبوته، والحافظ السيوطي، بل قال إنه متواتر تواتراً معنوياً، وأكثر الأئمة الذين ألّفوا في الحديث، أو خلق كثير منهم، وضعوا ترجمة لخروجه، بل أفرد عدة منهم التأليف في أخباره كالحافظ نعيم بن حماد والسيوطي.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ"** [٢٧٠]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ اتَّفَقُوا حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا"، وَقَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: "لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ، رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي"** [٢٧١]

عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{"الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ"** [٢٧٢]

---

٢٧٠ مسلم
٢٧١ أَبُو داود
٢٧٢ أبو داود

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: **"لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً"**[٢٧٣].

"يلتفت المهدي، وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم فصل بالناس. فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلي خلف رجل من ولدي"[٢٧٤].

٣- نزول عيسى بن مريم عليه السلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم - صلى الله عليه وسلم - حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"**[٢٧٥]

وأنه **"ينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، واضعاً كفيه في أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمانٌ كاللؤلؤ"**[٢٧٦].

ونزول عيسى عليه السلام، ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ"[٢٧٧]

---

٢٧٣ الحاكم وقال :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي

٢٧٤ الطبراني

٢٧٥ متفق عليه

٢٧٦ متفق عليه

وأما السنة فلا نزاع فيها. لأن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترت في نزوله آخر الزمان.

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة.

وقد انعقد إجماع الأمة على أنه متبع للشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة مستقلة، عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، ويتسلم الأمر من المهدي، بعد أن يصلي عيسى وراءه كما تقدم، وذلك لا يقدح في نبوته ويُسلم المهدي الأمر لعيسى عليه السلام، ويقتل عيسى الدجال).

٤- خروج يأجوج ومأجوج:

وذكرهم واردٌ في سورة الكهف في الآية: **(ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً، قَالُواْ يٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً، قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً، آتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِيَ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً، فَمَا ٱسْطَاعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً، قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً، وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً)**[٢٧٨]. إن هذه الآيات قد ذكرت بكل وضوح قصة يأجوج ومأجوج، وكيف أن ذا القرنين قد بنى عليهم السدّ، وأن هذا السدّ سوف يندك في آخر الزمان، ثم يخرج هؤلاء على الناس بالإفساد فيهم.

---

٢٧٧ الآية ١٥٩ سورة النساء

٢٧٨ الآيات ٩٢ – ٩٩ سورة الكهف

وثبت في الصحيحين من حديث أم حبيبة أم المؤمنين عن زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول: **"لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت يارسول الله: أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث"**[٢٧٩]. وخروجهم سيكون بعد نزول عيسى بن مريم، وأنهم يعيثون في الأرض فساداً، ويحصرون عيسى بن مريم، ومن معه من المسلمين في جبل الطور، وبينما هم كذلك، يُرسل الله إليهم ديداناً فتدخل في أنوفهم، فيموتون عن بكرة أبيهم، كما ثبت بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- الخسوفات:

وهي من أهم أشراط الساعة الكبرى التي لم تظهر بعد، فعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى لله عليه وسلم يقول: **"سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قلت يا رسول الله: أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟! قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كثر الخبث"**[٢٨٠].

٦- الدخان:

لقوله تعالى **(فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[٢٨١]، وفي السنّة المطهرة، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله

---

٢٧٩ متفق عليه
٢٨٠ الطبراني
٢٨١ الآية ١٠ و١١ سورة الدخان

صلى الله عليه وسلم قال: "**بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة االأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**"[٢٨٢].

٧- الدابة:

وهي من العلامات الكبرى، وهي التي تُكلم الناس، قال تعالى: (**وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ**)[٢٨٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاثٌ إذا خرجت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**"[٢٨٤].

٨- النار التي تحشر الناس:

روى مسلم في علامات الساعة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ونارٌ تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**"[٢٨٥].

أما موعد قيام الساعة، فنُرجعه إلى الله وحده، وقد كان هذا جواباً لسؤالٍ ورد في حديث جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما سأله عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وفي ذلك يقول الله تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا قُلْ**

---

٢٨٢ مسلم
٢٨٣ الآية ٨٢ سورة النمل
٢٨٤ مسلم
٢٨٥ مسلم

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[٢٨٦].

٢٨٦ الآية ١٨٧ سورة الأعراف

الباب السابع: الموت ومشاهد الآخرة

الإيمان بحتمية الموت:

كما يجب علينا أن نعتقد راضين موقنين، بأن الموت حقّ، وهو نازلٌ بنا رأي العين، قهراً وإجباراً، فنعتقد راضين مثابين إن شاء الله بأن: (**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ**)[٢٨٧]، وأننا جميعاً مُقبلون على الله بعد الموت، فما من حيٍّ إلا سيموت: (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ**)[٢٨٨]، وأن الله قد وكل ملكاً لقبض أرواح من كتب الله عليهم الموت: (**ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**)[٢٨٩]، وهو المسبب للأسباب، أما سبب الموت فهو انقضاء الأجل المكتوب. ويقوم بقبض الأرواح من وكله الله بذلك وهو ملك الموت (**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**)[٢٩٠]، ومعه أعوانٌ يُساعدونه في قبض الأرواح، وأنه رفيق بالمؤمنين عند قبض أرواحهم، شديدٌ على الكافرين.

كما نؤمن بأن الأجل مكتوب ومقدر سلفاً، وأن الموت لا يكون إلا لسبب واحد هو انقضاء الأجل، ولا شأن للمرض أو الحرب أو الحوادث بذلك، أما قول الشاعر: تعددت الأسباب والموت واحد، فهو في رأينا خطأ، والصواب: تعددت الأموات والسبب واحد، وهو انقضاء الأجل.

---

٢٨٧ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ. الآية ١٨٥ سورة آل عمران

٢٨٨ الآية ٣٠ سورة الزمر

٢٨٩ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. الآية ٤٢ سورة الزمر

٢٩٠ الآية ١١ سورة السجدة

وبعد الموت تفنى أجساد الخلائق في قبورهم، ويصيرون تراباً. وهناك أصناف لا تأكل الأرض أجسادهم، ومنهم الأنبياء، والرسل، والعلماء العاملون، والشهداء، والمؤذنون المحتسبون، وحامل القرآن العامل بما فيه.

كما يجب علينا أن نعتقد أن الناس يُسألون بعد موتهم في قبورهم، مسلمين وكفاراً، فيأتي للميت ملكان "منكر ونكير" فتعاد إليه روحه فيحيا حياة برزخية تختلف عن حياتنا، فيسألانه عن ربه ودينه والرجل الذي بعث فيهم، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو غيره من الأنبياء، ولذلك كانت الوصية النبوية عند الدفن "**سلوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل**"[٢٩١]، وقال بعض المفسرين أن هذا هو المقصود في قوله تعالى: (**يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ**)[٢٩٢].

فالمؤمن عند السؤال في القبر يقول: ربي الله، وديني الإسلام، والذي بعث فينا هو نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد آمنت به وصدقته فيقال له: أنظر إلى مقعدك من الجنة ونم هانئاً مسروراً، فينام في قبره حتى الحشر، ويفتح له كوة من الجنة فيعيش في سرور وحبور، وأما الكافر فيسأل مثل ما سئل المؤمن فيقول: لا أدري، فيُقال، لا دريت ولا تليت، ويعذب في قبره حتى الحشر، ويفتح له كوة إلى نار جهنم فيعذب حتى الحشر.

---

٢٩١ حديث مر رسول الله صلى الله عليه و سلم بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استغفروا لأخيكم وسلوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل. الحاكم في المستدرك

٢٩٢ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ. الآية ٢٧ سورة إبراهيم

وقد ورد أن أصنافاً من الناس لا يُسألون في قبورهم، وهم الأنبياء، والرسل، والشهيد، والمرابط، والمقتول ظلماً، والميت زمن الطاعون (المريض) إذا كان صابراً محتسباً، والصدّيق، والأطفال المؤمنة، والميت يوم الجمعة أو ليلتها، والقارئ كل ليلة **(تبارك الذي بيده الملك)**، والقارئ في مرض موته **(قل هو الله أحد)**.

نسأل الله الثبات عند السؤال، وأن نلهم اليقين بالله ورسوله وكتابه حتى نكون في بطون الألحاد مطمئنين.

مشاهد يوم القيامة:

أول مشاهد يوم القيامة **تطاير الصحف بين الخلائق** وأخذ الخلائق لها بالأيمان والشمائل. وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة ولانعقاد الإجماع عليه.

والصحف هي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا، ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة، قال تعالى: (**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً، ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**)[٢٩٣]،

وقال أيضاً: (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيئَاً بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ**)[٢٩٤]،

---

٢٩٣ الآية ١٣ و ١٤ سورة الإسراء

٢٩٤ الآية ١٩ – ٢٦ سورة الحاقة

وقال أيضاً: (**وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**)[٢٩٥].

هكذا نعلم بأن المؤمن يأخذ كتابه بيمينه، والكافر بشماله. إذاً الصحيفة واحدة، وإن كانت متعددة في الدنيا كما في الحديث: **"ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ"**[٢٩٦]، فقيل في ذلك تنسخ كلها في صحيفة واحدة، وتنادي الملائكة كل واحد وصحيفته في عنقه، فتنزع الصحيفة منه، ثم تعطيه إياها في يده، المؤمن بيمينه، والكافر بشماله من وراء ظهره. أما من يتساءل في كيفية الكتابة والحفظ والتوثيق فأنصحه بعدم الخوض في ذلك، وليكتفي بالتأمل في قدرة الإنسان في هذا الزمان على الكتابة والتسجيل والتوثيق التي أصبحت متطورة جداً، هذا هو فعل الإنسان فكيف بفعل الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

وله القدرة تعالى على خلق الخلق وأفعالهم وحسابهم جميعاً: (**وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**)[٢٩٧].

ثم إن الله تعالى يستنطق خلقه على خلقه، جعل منهم شهوداً تشهد على الإنسان يوم الحساب، ومن هذه الشهود: الألسنة، والأيدي، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلود، والأرض، والليل، والنهار، قال تعالى (**وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا**

---

٢٩٥ الآية ٤٩ سورة الكهف

٢٩٦ دقائق الأخبار في ذكر الجنه والنار

٢٩٧ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ. الآية ٤٧ سورة الأنبياء

ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ)[٢٩٨]، وقال أيضاً: **(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**[٢٩٩].

الميزان:

من مشاهد يوم القيامة التي لا يكتمل الإيمان إلا بالإيمان بها الميزان وصفته. فكما نؤمن بالصحف وتطايرها، نؤمن بالميزان الذي توزن فيه أفعال العباد، قال تعالى: **(وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ)**[٣٠٠]، وقال أيضاً: **(وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ)**[٣٠١]، وقال أيضاً: **(فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوۤاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)**[٣٠٢]، وقال تعالى: **(فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ)**[٣٠٣]. وفي الحديث الصحيح المتفق عليه قال صلى الله عليه وسلم: "**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**"[٣٠٤].

---

٢٩٨ الآية ٢١ و ٢٢ سورة فصلت

٢٩٩ الآية ٢٤ سورة النور

٣٠٠ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ. الآية ٨ سورة الأعراف

٣٠١ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ. الآية ٤٧ سورة الأنبياء

٣٠٢ الآية ١٠٢ و ١٠٣ سورة المؤمنون

٣٠٣ الآية ٦ – ١١ سورة القارعة

٣٠٤ متفق عليه

وفي تفسير القرطبي في قوله تعالى: **(وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَاتِنَا يِظْلِمُونَ)**[٣٠٥]. والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان . قال ابن عمر : (توزن صحائف أعمال العباد) وهذا هو الصحيح. عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: **(كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال سمعته يقول: يُدنى المؤمن من ربه يوم القيامة، حتى يضع عليه كنفه، فيُقرره بذنوبه فيقول هل تعرف؟ فيقول: أي ربّ! أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله)**[٣٠٦]. فقوله: (فيعطى صحيفة حسناته) دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف وتوزن.

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كلّ سجل مدّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى، هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب! فيقول أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا! ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا فيقول بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه**

---

٣٠٥ الآية ٨ و ٩ سورة الأعراف

٣٠٦ مسلم

البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)[٣٠٧].

زاد الترمذي فلا يثقل مع اسم الله شيء، وقال : حديث حسن غريب ..

أما كيفية الوزن وأدواته وهيئته، فإنا نفوضه إلى الله تعالى، فهو الأسلم لنا، ونكون على يقين بالميزان ودقته، وعدل الله ورحمته، والصراط ورقته، ونسأله تعالى أن يثقل ميزاننا بالحسنات والأعمال الصالحات.

الإيمان بالصراط:

والصراط من مشاهد يوم القيامة التي يجب أن نؤمن بها. وهو جسر ممدود على متن جهنم يَرِدُهُ الأولون والآخرون، يمرون بصمت، إلا الأنبياء يقولون "اللهم سلِّم سلِّم".

يقول تعالى لأنبيائه في المحشر: (**فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْـُٔولُونَ**)[٣٠٨]، ويقال في وصف الصراط أنه أحد من السيف، وأدق من الشعر.

وما يعنينا في دنيانا من الحديث عن الصراط، هو أن الذي يسير في حياته وفق صراط الله الذي شرعه في قرآنه فإنه يسلم يوم القيامة من أن تزل قدمه عن صراط الجحيم.

---

٣٠٧ ابن ماجه

٣٠٨ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْـُٔولُونَ. الآية ٢٣ و ٢٤ سورة الصافات

فصراط الجحيم، كما قلنا، يمر عليه الأولون والآخرون من المكلفين ليصلوا إلى الجنة، فمن كان عمله صالحاً اجتازه ودخل الجنة، ومن وقع عنه وقع في النار، وهذا معنى قوله تعالى **(وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً، ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً)**[٣٠٩].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يمر الناس على جسر جهنم، وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف، تختطف الناس يميناً وشمالاً، وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلم، اللهم سلم، فمن الناس من يمرُّ مثل البرق، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس المُجرى، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون ويكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة**"[٣١٠].

وهكذا نرى سرعة المرور على هذا الجسر الرهيب، وكل واحد من الخلق يسير عليه حسب حاله في الدنيا، وحسب التزامه بما كلف به من بأحكام ربه في حياته الدنيا.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**يضرب الصراط بين ظهرانيّ جهنم، فأكون أول من يجيزه بأمته من الرسل، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم، اللهم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك**

---

٣٠٩ الآية ٧١ و ٧٢ سورة مريم

٣١٠ متفق عليه

السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، يختطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو"[٣١١].

فلننظر في حالنا في الدنيا عسى أن نكون من المسرعين حتى لا نشعر بحرّ جهنم أثناء العبور، وحتى نكون ممن قال فيهم الحق تبارك وتعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُوْلَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لاَ يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)**[٣١٢].

فارجع البصر كرتين، وتأمل وأنت في دار العمل في حالك، وتحقق من مقام الخوف في الدنيا: **(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ، فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ)**[٣١٣]، فمقام الخوف في الدنيا يؤمّنك من خوف أهوال يوم القيامة، ومنها الصراط، لأن الله لا يجمع على عبد بين خوفين، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمّنه الله منها يوم القيامة.

ونعني بالخوف الخوف الذي يمنع عن المعاصي ويدفع للطاعة، حتى إذا ما وقف أمام الصراط كان في مأمن من أهواله، وملك الإجابة على أسئلة تطرح عليه أثناء العبور، فقد ورد أن جبريل يقف في أول الصراط، وميكائيل يقف في وسطه، يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن شبابهم فيم أبلوه، وعن علمهم ماذا عملوا به.

وعن أنس رضي الله عنه قال: **"سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قال: قلت يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما**

---

٣١١ متفق عليه
٣١٢ الآية ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ سورة الأنبياء
٣١٣ الآية ٤٠ و ٤١ سورة النازعات

تطلبني على الصراط، قال: قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن"[٣١٤]. فانظر حالك بين يدي الله وتحت نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذاك المشهد العظيم، نسأل الله السلامة.

صفة الجنة:

نؤمن ونعتقد بأن المؤمنين الصادقين سيكون جزاؤهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار وذلك جزاء من تزكى، وأن الصابرين في هذه الحياة الدنيا سيناديهم مناد يوم القيامة: (**وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**)[٣١٥].

وآيات وصف الجنة في القرآن كثيرة، ارجع إليها في سورة الرحمن أو الواقعة أو غيرها من السور.

واختلف في الجنة هل هي سبع جنات متجاورات، أو أربع، أو جنة واحدة. فذهب ابن عباس إلى أنها سبع، أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها، والمجاورة لا تنافي العدد، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة، ويليها في الأفضلية عدن، ثم الخلد، ثم النعيم، ثم المأوى، ثم دار السلام، ثم دار الجلال. وكلها متصلة بمقام الوسيلة ليتنعم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وسلم، لظهوره لهم منها، لأنها تشرف على أهل

---

٣١٤ الترمذي

٣١٥ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَانَا ٱللَّهُ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ. الآية ٤٣ سورة الأعراف

الجنة، وفي ذلك آراء كثيرة يرجع إليها في كتاب الإحياء. والراجح من الأقوال في خلق الجنة والنار أنهما مخلوقتان قائمتان وموجودتان قبل أن يخلق الله آدم وحواء لكثرة النصوص والآثار الدالة على ذلك.

ويكفينا إيجازاً وعظمة في وصف الجنة ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**"[٣١٦][٣١٧]. وأفضل من ذلك كلِّه رؤية الله عز وجل في الجنة: (**لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**)[٣١٨]، بعدها في الأفضلية رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم.

صفة النار:

كما نعتقد بأن الكافرين المستكبرين سيكون مصيرهم نار جهنم خالدين فيها، وهي دار العذاب، حيث أوجدها الله تعالى فيما مضى كما قلنا، أما مكانها الآن، ففيه روايات وأقاويل، لكننا نفوض في هذا الأمر، ونقول علمه عند الله تعالى.

أما وصفها فقد وردت فيه آيات كثيرة "يرجع إليها في كتاب الله"، ويكفي أن تعرف من هولها أن جمرها هم بنو آدم والحجارة: (**يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**

---

٣١٦ الآية ١٧ سورة السجدة
٣١٧ متفق عليه
٣١٨ الآية ٣٥ سورة ق

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[٣١٩].

والذين يدخلون النار صنفان من الناس: كفار يخلدون فيها، ومؤمنون عصاة يعذبون على قدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها إلى الجنة تكرماً من الله ومنّة، أجارنا الله من النار.

وللنار أسماء متعددة منها: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية، نعوذ بالله منها كلها.

صفة الكوثر والحوض:

نؤمن ونعتقد أن الله تعالى أكرم نبيه بحوض خاص به يوم القيامة، يسقي منه أمته، من شرب منه لا يظمأ أبداً، قال صلى الله عليه وسلم: "**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً**"[٣٢٠].

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن قدر حوضي ما بين أيلة وصنعاء اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**"[٣٢١].

وقال بعض العلماء أن نهر الكوثر، الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ)**[٣٢٢] يصب في حوض يشرب منه المؤمنون من أمة رسول الله صلى الله

---

٣١٩ الآية ٦ سورة التحريم
٣٢٠ متفق عليه
٣٢١ مسلم

عليه وسلم. عن أنس رضي الله عنه قال: لما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء، قال: "**أتيت على نهر حافتاه قبابُ اللؤلؤ مجوفاً فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**"[٣٢٣].

نسأل الله أن يبلغنا حوض نبيه صلى الله عليه وسلم لنشرب منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

الشفاعة:

نؤمن ونعتقد أن لنبينا صلى الله عليه وسلم مقاماً محموداً، وعده الله إياه يوم القيامة، وهو مقام الشفاعة، وقد ورد أصل الشفاعة في قوله تعالى: (**مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ**)[٣٢٤]، فهو يشفع لغيره، وشفاعته مقبولة، ومعنى شفاعته صلى الله عليه وسلم، سؤاله الخير والنجاة لأمته من الله رب العالمين.

قال تعالى (**وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**)[٣٢٥]، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير قوله: (**عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً**) "**هو المقام الذي أشفع لاَمّتي فيه**"[٣٢٦]. وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

---

٣٢٢ الآية ١ سورة الكوثر

٣٢٣ البخاري

٣٢٤ ٱللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ. الآية ٢٥٥ سورة البقرة

٣٢٥ الآية ٧٩ سورة الإسراء

٣٢٦ أحمد والترمذي

"لكلّ نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي، وهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً"[٣٢٧]. ولقوله صلَّى الله عليه و آله وسلَّم: **"شفاعتي لكل مسلم"**[٣٢٨].

هذا وتتعدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم:

- فمنها الشفاعة العظمى: يوم الفزع الأكبر، حينما يطول الوقوف بالناس، وتدنو الشمس من رؤوس العباد على بعد ميل، فيفيض الناس عرقاً، فيترامون على أعتاب الأنبياء والمرسلين، ليشفعوا لهم عند ربهم، فأول ما يأتون آدم عليه السلام، فيقولون يا آدم: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الله الجنة، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، اللهم نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا نوح عليه السلام، فيأتون نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وكلهم يقولون: اللهم نفسي نفسي، فيقول لهم عيسى عليه السلام: عليكم بمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم، وهو جالسٌ على يمين العرش، على أعظم منبر من نور، قد كسي حلة خضراء من حلل الجنة، فيقولون يا محمد: أنت خاتم النبيين والمرسلين، وإن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فينهض عليه الصلاة والسلام قائلاً: أنا لها، أنا لها، ويخر ساجداً لله، فيناديه رب العالمين: يا محمد ارفع رأسك، سل

---

٣٢٧ ابن ماجة، وأحمد، ومالك، والترمذي، والدارمي، ومسلم، والبخاري
٣٢٨ ابن ماجة

تعط، واشفع تشفع، فيقول: يا رب! أمتي أمتي، فيقال له اشفع لمن أحببت، وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون: **(عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)**[٣٢٩]، وهذه هي الشفاعة العظمى، إذ هي لكل الخلائق لإراحتهم من ذاك المشهد.

- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لإدخال قوم الجنة بغير حساب.
- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب في أن لا يعذبوا.
- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لإخراج العصاة من النار، لا المشركين، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.
- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في تخفيف العذاب عن بعض المخلدين في جهنم، رحمة بهم.
- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أطفال المشركين أن لا يعذبوا.

كما ولغيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء والعلماء العاملين شفاعات اخرى، كلٌّ حسب مقامه عند الله تعالى.

وأكبر وأعظم الشفاعات شفاعة الله عز وجل، فإن الله تعالى يقول، بعد أن يأذن للشفعاء بالشفاعة **"هل بقي إلا أرحم الراحمين، فيأخذ قبضة من النار، فيخرج قوماً قد**

---

٣٢٩ الآية ٧٩ سورة الإسراء

عادوا حُمَمَةً لم يعملوا لله عمل خير قط، فيطرحون في نهر في الجنة، يقال له نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل"[٣٣٠].

هل نرى الله في الآخرة:

سؤال يتردد: هل يَرى المؤمنُ ربَّه يوم القيامة؟ وكيف ندفع التعارض بين الأدلة الشرعية في قوله تعالى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**[٣٣١]، وقوله تعالى **(لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَٰرَ)**[٣٣٢]، وقوله تعالى **(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)**[٣٣٣].

أنكر كثيرٌ من الفرق إمكانية رؤية الله في الآخرة، كالمعتزلة والشيعة الإمامية والإباضية. أما أهل السنة والجماعة، فمن عقيدتهم أن الله تعالى يجوز أن يراه المؤمنون في الآخرة، لكن كُنْه هذه الرؤية غير معروف، ويترك تقديره لله عز وجل، علماً بأننا نعتقد أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه في حياته ليلة الإسراء والمعراج.

والآية التي ذكرناها سابقاً: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**[٣٣٤] واضحة وتفيد الرؤية بلا مواربة. نعم يراه المؤمنون في الجنة، ولكنها رؤية منزهة عن المقابلة والجهة والمكان والإحاطة، ولكن الرؤية جائزة، وهو ما كان سبباً في سؤال سيدنا موسى عليه السلام لربه أن يراه، فهل المخالفون للرؤية أدرى من النبي موسى عليه السلام بما يجوز

---

٣٣٠ مسلم
٣٣١ الآية ٢٢ و ٢٣ سورة القيامة
٣٣٢ لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ. الآية ١٠٣ سورة الأنعام
٣٣٣ الآية ١٥ سورة المطففين
٣٣٤ الآية ٢٢ و ٢٣ سورة القيامة

في حقه تعالى وما لا يجوز؟! ولو كان يعلم استحالتها لما طلبها، كما في الآية **(رَبِّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ)**[٣٣٥].

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم "المزيد" في الآية الكريمة: **(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)**[٣٣٦]، فسر المزيد بأنه: **"النظر إلى وجه الله الكريم"**[٣٣٧].

أما في الآية التي في سورة المطففين: **(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)**[٣٣٨]، فهذه تخصّ الكافرين، حيث جعل عقابهم الحجب، وهو ما يدل على أن غير الكافرين غير محجوبين.

وقد صحت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تفيد الرؤية في الآخرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة: **"أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر وليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك"**[٣٣٩].

وعلى هذا إجماع عدد كبير من الصحابة، ولكن الرؤية مثبتة، والكيفية نفوضها إلى الله.

---

٣٣٥ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَىٰ صَعِقاً فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. الآية ١٤٣ سورة الأعراف

٣٣٦ الآية ٣٥ سورة ق

٣٣٧ مسلم

٣٣٨ الآية ١٥ سورة المطففين

٣٣٩ مسلم والترمذي وأبو داود

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: اعلم أنّ مذهب السنة بأجمعهم، أنّ رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأنّ المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أنّ الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأنّ رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهلٌ قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فمن بعدهم سلف الأمة، على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو عشرين صحابياً عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وآيات القرآن فيها مشهورة.

أما ما احتج به المخالفون، وهو قوله تعالى **(لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَٰرَ)**[٣٤٠]، فقد أجاب أهل السنة على ذلك بأن النفي هنا نفيَ إدراك، لا نفيَ رؤية، والإدراك هنا بمعنى الإحاطة، والرؤية لا تعني الإحاطة.

ملحق في جواز رؤية الله تعالى:

بقي سؤال في الختام، هل يُرى الله في المنام؟ أجاب على هذا السؤال عدد من العلماء، وقالوا بإمكانها للأولياء، لكن بشرط أن لا يترتب على هذه الرؤية حكم شرعيّ، من تحليل أو تحريم أو وجوب، كرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الدّين قد تمّ: **(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلَٰمَ دِيناً)**[٣٤١]. والرؤى والأحلام ليست من مصادر التشريع بل هي لصاحبها.

---

٣٤٠ لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ. الآية ١٠٣ سورة الأنعام

٣٤١ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلْدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلأَزْلَٰمِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن

نقل عن القاضي عياض في مسألة رؤية الله تعالى في المنام للأولياء، أنه لا نزاع في صحتها، فإنّ الشيطان لا يتمثل بالله تعالى، كما لا يتمثل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وحُكي أن الإمام أحمد بن حنبل، رأى المولى سبحانه في المنام تسعاً وتسعين مرة، وفي المرة المائة قال: سيدي ومولاي، ما أقربُ ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: تلاوة كلامي.

وفي حديث معاذ بن جبل قال: **"احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوّب بالصلاة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجوز في صلاته، فلما سلّم دعا بصوته فقال لنا: على مصافكم كما أنتم، ثم انتقل إلينا فقال: أما أنّي سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة. إني قمت من الليل، فتوضأت فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: رب لبيك، قال: فوضع كفّه بين كتفي، قد وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت، قال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في المكروهات، قال: ثم فيم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك**

دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. الآية ٣ سورة المائدة

حبّك وحبّ من يحبّك، وحبّ عمل يقرب إلى حبك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها حق فادرسوها ثم تعلموا"[٣٤٢].

وعن صفة هذه الرؤيا وماهيتها، يفسرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عندما سُئل، يا رسول الله: هل رأيت ربك؟ فقال: **"نور أنَّى أراه"**[٣٤٣]، ففي الدنيا الأنوار مخلوقة على حقائقها، لأن الإنسان لو حدّق ينظر إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره. وهذا الحديث يفسر أن الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نور الله، وحتى هذا النور يحتاج إلى تقوية خاصة، ورؤيته في المنام ليست كرؤيته في الإسراء والمعراج، وليست كرؤية المؤمنين له في الجنة، وهنا نؤكد على ما ذهبنا إليه في أكثر من موضع أن الله لا يُشبهه شيء، وأنه تعالى عن المِثل، وكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك.

---

٣٤٢ الترمذي، وقال حسن صحيح

٣٤٣ مسلم

خاتمة

هذا ما فتح الله به عليّ في هذا الكتاب. وأسأل الله تعالى أن يجعل غرضي منه وجهه تعالى، كما أسأله تعالى أن ينفع به إخواننا والمحبين، وأن ينفع به طلاب مدارسنا، ومؤسساتنا، وكل طالب علم، وأن يجعل هذا العمل نوراً لي في قبري، وفي المحشر، وعلى الصراط، وأن يوردني فيه موارد النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وأسأله تعالى أن يغفر لي ذنبي وتقصيري وضعفي، وأن يغفر لوالدي ووالدتي ومشايخي وأجدادي ولجميع المسلمين.

فهرس الكتاب

مقدمة الكتاب..... ٢

مقدمة في علم التوحيد ومباحث العقيدة..... ٧

الباب الأول: العقيدة والإيمان والمعرفة..... ١٧

أهمية العقيدة: ١٧

حول معاني الإيمان والمعرفة:..... ١٨

بماذا نؤمن حتى نكون على عقيدة صحيحة؟ ١٩

واجب الدعوة: ٢١

أمّة الدعوة وأمّة الإجابة:..... ٢٢

التكليف بالدعوة: ٢٥

من هو المكلف؟..... ٢٥

من هو المقلد؟..... ٢٦

كيف تبدأ بمعرفة الله؟ ٢٧

زيادة الإيمان بالعمل الصالح ونقصانه بالعمل الرديء: ٣١

معاني الإيمان، التوحيد، الكفر، النفاق، الشرك: ٣٢

الإيمان وأقسامه:..... ٣٢

التوحيد: ٣٣

الكفر وأنواعه: ٣٤

تعريف الكفر ٣٤

أنواع الكفر ٣٤
النّفاق: ٣٦
أنواع النفاق ٣٦
الشرك: ٣٨
تعريفه ٣٨
أنواع الشرك ٣٨
اللادينيون: ٤٠
الباب الثاني: صفات الله عزّ وجلّ ٤١
ما يجب لله عزّ وجلّ من صفات: ٤١
أولا: الصفة النفسية ٤١
وجود الله لا تحويه الجهات: ٤٢
ثانيا: الصفات السلبية ٤٤
١- القِدَم ٤٥
٢- البقاء ٤٥
٣- مخالفته تعالى للحوادث ٤٦
٤- قيامه تعالى بنفسه ٤٦
٥- الوحدانية ٤٧
ثالثاً: صفات المعاني ٤٧
١- القدرة ٤٨

٢- الإرادة ٤٩
٣- العلم ٥٠
٤- الحياة ٥١
٥- السمع ٥١
٦- البصر ٥٢
٧- الكلام ٥٢
رابعا: الصفات المعنوية ٥٣
رد بعض الشبهات، وبعض الملاحظات على الصفات: ٥٥
فيما يستحيل في حقه تعالى: ٥٧
الجائز في حق الله تعالى: ٥٨
ما نعتقده بإيجاز في قضية خلق القرآن: ٥٩
الإيمان بالقضاء والقدر: ٦٠
هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟ ٦١
الباب الثالث: النبوات ٦٥
الصفات الواجبة للأنبياء والرسل: ٦٦
١- الأمانة ٦٦
٢- الصدق ٦٧
٣- التبليغ ٦٧
٤- الفطانة ٦٨

المستحيلات في حق الأنبياء والرسل: ٦٨
الجائز في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ٦٩
الرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم تفصيلاً: ٦٩
الأنبياء والرسل: ٧٠
الأولياء: ٧٥
بحث في مشروعية زيارة القبور: ٧٥
التوسل: ٧٧
أنواع التوسل: ٧٩
اصطلاح «مدد»: ٩٥
الرقية الشرعية: ٩٨
الباب الرابع: الإيمان بالملائكة ١٠٠
واجب المؤمن تجاه الملائكة: ١٠٢
الإيمان بالجنّ: ١٠٥
الباب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية ١٠٧
الباب السادس: الإيمان باليوم الآخر ١٠٩
علامات الساعة الصغرى والكبرى: ١١٢
من علامات الساعة الصغرى: ١١٢
١- بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ١١٢
٢- موت النبي صلى الله عليه وسلم ١١٢

٣- فتح بيت المقدس ١١٣
٤- ظهور الفتن ١١٣
٥- ظهور نار الحجاز ١١٣
٦- ضياع الأمانة..... ١١٣
٧- قبض العلم وظهور الجهل ١١٣
٨- كثرة الزلازل ١١٤
٩- ظهور الكاسيات العاريات في نساء هذه الأمة..... ١١٤
١٠- كثرة موت الفجأة ١١٥
١١- حسر الفرات عن جبل من ذهب ١١٥
١٢- تطاول الحفاة في البنيان: ١١٥
١٣- كثرة القتل وانتزاع البركة من العمر والرزق ١١٦
أشراط الساعة الكبرى:..... ١١٦
١- طلوع الشمس من مغربها ١١٦
٢- المسيح الدجال..... ١١٦
٢- ظهور المهديّ عليه السلام ١١٨
٣- نزول عيسى بن مريم عليه السلام..... ١١٩
٤- خروج يأجوج ومأجوج ١٢٠
٥- الخسوفات ١٢١
٦- الدخان..... ١٢١
٧- الدابة..... ١٢٢

٨- النار التي تحشر الناس ١٢٢
الباب السابع: الموت ومشاهد الآخرة.....١٢٤
الإيمان بحتمية الموت: ١٢٤
مشاهد يوم القيامة:..... ١٢٦
الميزان: ١٢٨
الإيمان بالصراط: ١٣٠
صفة الجنة: ١٣٣
صفة النار:..... ١٣٤
صفة الكوثر والحوض: ١٣٥
الشفاعة: ١٣٦
هل نرى الله في الآخرة: ١٣٩
ملحق في جواز رؤية الله تعالى:..... ١٤١
خاتمة.....١٤٤